الأسبوع الأدبي
www.awu.sy
العدد: "١٤٢١" ٢١/١٢/٢٠١٤م - ٢٩صفر ١٤٣٦هـ
"السنة التاسعة والعشرون"
جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
٢٤ صفحة
٢٥ل.س

١٨ كانون الأول اليوم العالمي للغة العربية

عددخاص

الشـــاعر واللغـة..

• جبران خليل جبران

«الشاعر أبو اللغة وأمها، تسير حيثما يسيروتربض أينما يربض، وإذا ما قضى جلست على قبره باكية منتحبة حتى يمر بها شاعر آخر ويأخذ بيدها»

«الوسيلة الوحيدة لإحياء اللغة هي في قلب الشاعر وعلى شفتيه وبين أصابعه، فالشاعر هو الوسيط بين قوة الابتكار والبشر، وهو السلك الذي ينقل ما يحدث عالم النفس إلى عالم البحث، وما يقرره عالم الفكر إلى عالم الحفظ والتدوين»

«الصورة الإيجابية تنحصر في أمرين أساسيين، أولهما تثقيف الناشئة في مدارس وطنية بحتة وتلقينه العلوم والفنون باللغة العربية ـ فينتج عن ذلك الألفة المعنوية والاستقلال النفسي ـ وثانيهما استثمار الأرض واستخراج خيراتها وتحويل تلك الخيرات بواسطة الصناعة الشرقية إلى ما يحتاجه القوم من مأكل شرقي وملبس شرقي ومأوى شرقي ـ فينتج عن ذلك التضامن الاقتصادي ثم الاستقلال السياسي»

«مستقبل اللغة العربية رهن قوة الابتكار في مجموع الأمم التي تتكلمها، فإن كان لتلك الأمم ذات خاصة (أو وحدة معنوية) وكانت قوة الابتكار في تلك الذات قد استيقظت بعد نومها الطويل، كان مستقبل اللغة العربية عظيماً كماضيها»

اللّغة العربيّة ..أصالة وحضارة

• نبراس تميم

تُعَدُّ اللغة العربيّة من أقدم اللغات الحيّة على وجه الأرض ، وهي أوّل لغة في العالم تستخدم حرف الضّاد ، وعلى الرّغم من اختلاف المؤرخين والباحثين حول عمر هذه اللغة إلّا أنها ومن دون أدنى شك استمرّت لأكثر من ألف وستمئة عام ولا زالت تتمتّع بخصائصَ ثابتة في أصولها وجذورها ، ومتجدِّدَة بفضل ميزاتها وخصائصها ، ولم يُعرَف مثل هذا الثّبات في لغة من لغات العالَم على مر العصور والأجيال ، ناهيك عن كونها استوعبت كل الحضارات القديمة كالفارسيّة واليونانيّة والهندية وغيرها ، ويتحدث بها أكثر من أربعمئة مليون نسمة ، وهي اللغة الرّابعة من لغات منظمة الأمم المتحدة الرّسميّة.

ورغم كل التّحديات التي واجهتها وكانت تسعى إلى تبديد خلودها والتّقليل من شأنها وإضعافها كتحويل أبجدية اللغات الإقليميّة إلى اللاتينيّة ، وتقديم اللهجات المحليّة وتشجيعها ، والدّعوة لكتابة اللغة العربيّة بالحروف اللاتينيّة ... إلّا أنها استمرّت وتطوّرت لتفرض وجودها كلغة إنسانيّة بمفاهيمها وأفكارها لتكون لغة العلم والسّياسة والتّشريع والفلسفة والمنطق والأدب والفن ... حيث كانت حلقة الوصل التي تربط الماضي بالحاضر بالمستقبل ومن أبرز العوامل التي ساعدت اللغة العربيّة على مجابهة التّحديات أنّها اللغة التي اصطفاها الله تعالى لتكون لغة القرآن الكريم بقوله : " إنّا أنزلناه قرآناً عربيّاً لعلكم تعقلون " ويُضاف إلى ذلك مرونتها وحيويتها وقدرتها على التّجدّد والابتكار لتستوعب الاكتشافات العلميّة والانفجار المعرفي الذي شهده العالم في القرن الحادي والعشرين ، إضافة إلى كونها بوابة الثّقافة الإسلاميّة والعربيّة ، فهي تُتيح للمهتم الاطلاع على كمٍّ حضاريّ وتراثيّ هائل لأمّة تربَّعَت على عرش العالم لعدّة قرون وملأت ذاكرة التّاريخ بإرث حضاريّ عظيم في شتّى أنواع العلوم والفنون ، ومن هنا نستطيع القول إنّ اللغة العربيّة تزيَّت بزيّ العالميّة ، وازداد بشكل متواتر عدد الرّاغبين بتعلّمها على امتداد العالم .

ويأتي رونق وجمال اللغة العربيّة من كونها أفصح اللغات أصلاً ومضموناً نسبة إلى سائر اللغات في العالم ، تلك التي لا تمتلك فصاحة التّعبير ونصاعة البيان ، وتتميّز عن غيرها بالموسيقيّة ، حيث إنّ ألفاظها ترجع إلى نماذجَ في الأوزان الموسيقيّة والكلام المنمّق المصقول شعراً كان أم نثراً ، وإنّ ما تحتويه اللغة العربية في طياتها من ألفاظ وتراكيب ونحو وصرف وخيال وبيان وبديع واشتقاق وترادف وغيرها من الفنون جعلها لغة فريدة خالدة لا تنضب ينابيعها من الجمال والإبداع .

وهكذا يبقى حفظ اللغة العربيّة واجب يقع على عاتق كلّ مفكرٍ وأديب وناقد بل وناطق بها ، فهي تمثّل الفكر القوميّ لهذه الأمة وعنوان وجودها .

كُتّابٌ و آراء

«لعله لا يمضي قرن أو قرنان حتى تتوحد اللهجات العامية، لأن الفصحى آخذة بالتغلب عليها على كل حال، ودليلنا على ذلك مصر وبعض مدن سورية التي كان فيها مدارس وجرائد كثيرة، وخير وسيلة لإحيائها نشر جميع ما خلفه علماء العرب وأدباؤهم من القرن الثاني إلى القرن التاسع والعاشر للهجرة، وتعليم جميع العلوم بالعربية في المدارس وبث الكتب النافعة بين جميع طبقات الأمة في المدن والقرى والحواضر والبوادي وعناية أهل كل أفق بترتيب فصحاء منهم ينوعون أساليب التعليم للأمة في كتب ورسائل ومحاضرات وخطب وتمثيل وغير ذلك»

ـ محمد كرد علي ـ
(مؤسس وأول رئيس لمجمع اللغة العربية بدمشق)

«ثمة مضمار آخر حققت فيه العربية قدراً من المجاراة، وهو اتخاذ الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة إياها لغة من لغاتها الرسمية، في الخطب التي تلقى والمنشورات التي تعد، مع توفير للترجمة منها وإليها، وفي هذا ما فيه من إقرار دولي بأهمية لغتنا القومية»

ـ قسطنطين زريق ـ
(مفكر قومي عربي)

«مسألة التقدم العلمي ومسألة لغة واحدة، هي اللغة القومية أو لغتان أو أكثر.. وغير ذلك من المسائل، لها صلة وثيقة بشرط يظل غائباً في اللحظة الحاضرة، وهو تطوير مجتمعاتنا لتصبح مجتمعات متماسكة ثقافياً وسياسياً قادرة على الخلق والإبداع»

ـ د. سالم يفوت ـ
أستاذ الآداب والعلوم الإنسانية
في جامعة الرباط ـ المغرب

«اللغة العربية الحديثة تستطيع أن تؤدي العلوم والآداب والفلسفة وجميع المبتكرات ومنجزات التكنولوجيا دون صعوبات، وقد أثبتت اللغة العربية قدرتها على التطور والتكيف وقابليتها للحياة واستعدادها للبقاء، فنحن اليوم نستعمل لغة عربية جديدة أو قل متجددة في مفرداتها وتراكيبها اللغوية، ولا أدل على ذلك من الفرق الكبير بينها وبين اللغة العربية الجاهلية»

ـ د. معن زيادة ـ
(المفكر والمؤرخ والفيلسوف اللبناني)

«كان للعربية ماض مجيد، وفي مذهبي أنه سيكون لها مستقبل باهر، ولأرباب العلم في مصر وسورية فضل في إبقاء نورها ساطعاً»

ـ ريتشارد كونهيل ـ
(مستشرق أميركي وأستاذ في جامعة كولومبيا)

«يجب أن يعنى أهل البلاد العربية بلغتهم باعتبار أنها لغة وطنية، على أنه ينبغي لهم أن يثابروا على تعلم اللغات الأوروبية التي مكنت السوريين بوجه خاص أن يلعبوا دورهم التاريخي»

ـ لامنس ـ
(علامة ومستشرق يسوعي)

«الامتيازات العظيمة التي حصل عليها العرب جراء حوادث السنوات الأخيرة سيكون لها تأثير شديد في اللغة العربية، ولا ريب عندي أن الجنس العربي سيلعب مرة أخرى دوراً خطيراً في تاريخ الشرق والحضارة»

ـ الأستاذ أ. غويدي.
(مستشرق وعضو في مجلس الشيوخ الإيطالي)

«قرب اليوم الذي يستطاع فيه وجود الكل أو الجل من الإصلاحات العربية أو المعربة بإحكام ومهارة لتلقين ضروب العلوم بلسان الضاد ويسرني جداً تقرير ما أراه من التقدم الحثيث في هذه السبيل»

ـ خليل مطران ـ
(شاعر القطرين سورية ومصر)

«اللغة العربية لم تتقهقر قط فيما مضى أمام أي لغة أخرى من اللغات التي احتكت بها، وينتظر أن تحافظ على كيانها في المستقبل كما حافظت عليه في الماضي..، وللغة العربية لين ومرونة يمكنانها من التكيف وفقاً لمقتضيات هذا العصر، وليس من يشك في أنه متى سنحت لها الظروف، تستطيع أن تبلغ من الدقة والرقي ما يمكنها من التعبير عن أسمى الأغراض العلمية»

ـ وليم ورل ـ
(مستشرق أميركي)

«تقدم لي ذكر أهم الوسائل لإحياء اللغة في مجلة (الزهور) المصرية وقد حصرت ارتقاء اللغة بسلم ذات ثماني درجات هي: الدولة والأمة والمدرسة والصحافة والمطبعة والتأليف والمجمع العلمي والمكتبة، فهي كافلة بإحياء اللغة تدريجياً»

عيسى اسكندر المعلوف
(أديب وباحث لبناني)

«رابطتنا الحاضرة هي اللغة وهي جامعة المستقبل ولغتنا العربية لوحدة وتيرتها في التعبير من أقوى الجامعات فيجب أن لا نحيد عن هذه الوحدة»

ـ سلامة موسى ـ
(أديب ومفكر مصري)

«العروبة قائمة باللغة فما من عروة إلا أمكن انفصالها سوى هذه، فإن عروقها ممتدة إلى تلافيف الأدمغة ومتفرعة في مخادع الأرواح.

واللغة هي التي حفظت إلى اليوم قوة العرب وعصمتهم من الاندماج في الشعوب التي ملكتهم عصوراً، وهي التي جعلت أبناءها يتساءلون عن بعضهم، ويتراسلون فيما بينهم، ويتشاكون، وإني لا أزال مؤملاً تضامن الأقطار العربية ما دامت لغتهم حية يتكلمون بها ويتكاتبون ويبثون بواسطتها أفكارهم وإحساساتهم، أما إذا ماتت اللغة فلا تضامن ولا وحدة ولا عروبة ولا حياة..»

الشاعر العراقي
ـ جميل صدقي الزهاوي ـ

«اللغة العربية تمتاز على اللغات كافة بارتباطها إلى الأصلين العظيمين الخالدين القرآن والحديث، ولست أرى ما يمنع انتشار اللغة وأن تعلم بها جميع العلوم فإن هذا شرط في إحيائها وأحيائنا، ليس شيوع المفردات العربية في اللغات الفارسية والتركية والإيطالية والفرنسية والإنكليزية إلى اليوم إلا مثالاً من أمثلة تأثير لغة الأقوياء..»

ـ إبراهيم حلمي العمر ـ
(صاحب جريدة «المفيد» البغدادية)

خطة العمل الوطنية السورية للتمكين للغة العربية(*)

• أ.د. محمود السيد

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف مرامي السياسة اللغوية وضرورة التخطيط اللغوي في ضوئها، ومن ثم الوقوف على خطة العمل الوطنية السورية على أنها أنموذج في هذا المجال على الصعيد الوطني.

أولاً- مرامي السياسة اللغوية لما كانت العولمة في جانبها المظلم تروم إمحاء الذاتيات الثقافية للشعوب، وتعمل على خلخلة انتمائها، واستبعاد خصوصيات هذه المجتمعات، واستلاب عقول أبنائها، بات من الضرورة بمكان وضع سياسة لغوية للحفاظ على تلك الذاتية الثقافية، وتعد اللغة القومية محور الثقافة، والمقوّم الأساسي للأمة، وعنوانها شخصيتها، ومستودع تراثها وذاكرها وحصنها القوي في التصدي لمحاولات النيل منها. وإذا كان كل من الأمم الحية قد وضع سياسته اللغوية لمواجهة الآثار السلبية للعولمة ذات القطبية الثقافية الواحدة ولغتها الإنجليزية إن في اليابان أو الصين أو فرنسا أو ألمانيا أو إسبانيا حفاظاً على لغتها القومية فإننا نلاحظ غياب هذه السياسة اللغوية على الصعيد العربي، وطالما شكا الباحثون في شؤون لغتنا العربية من هذا الغياب على الصعيدين القومي والقطري. وتهدف السياسة اللغوية على النطاق القومي إلى إعلاء شأن اللغة العربية بوصفها عنواناً للهوية والانتماء، والحفاظ عليها باعتبارها أداة ضرورية للتقدم والارتقاء والتنمية المستدامة ومواكبة روح العصر، عصر العلم والتقانة "التكنولوجيا" في مجتمع المعرفة، والحرص على سيرورتها في ميادين الحياة كافة. وترمي السياسة اللغوية في العملية التعليمية التعلمية إلى تعليم مواد المعرفة كافة باللغة القومية "اللغة الأم" وهي العربية الأخرى، إن في داخل الوطن العربية أو في خارجه، وجعل اللغة القومية متطلباً أساسياً للالتحاق بالجامعات، كما ترمي السياسة اللغوية في العملية التعليمية التعلمية إلى تحديد موقع اللغات الأجنبية في نساق النظام التعليمي، وتحديد موقع المدارس الخاصة والجامعات الخاصة والمدارس الأجنبية وفروع الجامعات الأجنبية في داخل الوطن العربي. وفي خارج نطاق العملية التعليمية التعلمية ترمي السياسة اللغوية إلى تحديد الموقف من لغات الفئات ذات الثقافات الخاصة في داخل الدول العربية، وتحديد الموقف من اللهجات المحلية "العاميات" ومن الشعر النبطي، وتتخذ الموقف الإيجابي من تعريب أسماء المحلات التجارية والمؤسسات الخدمية والسياحية والمراسلات بين المصارف والغرف الصناعية والتجارية، وجعل اللغة مطلباً أساسياً للالتحاق بالوظائف الحكومية والخاصة، واعتمادها لغة رسمية في المؤتمرات والندوات التي تعقد في الوطن العربي، واستعمالها في المحافل الدولية والتزام ممثلي الدول العربية هذا الاستعمال في جمعية الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها.

ثانياً- التخطيط اللغوي: في ضوء السياسة اللغوية على النطاق القومي توضع الخطة اللغوية، ولم تقم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم باعتبارها الجهة المعنية في جامعة الدول العربية بوضع هذه الخطة، إلا أن الجمهورية العربية السورية علمت على وضع خطة عمل وطنية لتمكين اللغة العربية والحفاظ عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها. ولقد وضعت هذه الخطة بناء على القرار الجمهوري ذي الرقم 4 لعام 2007 الذي أصدره السيد الرئيس بشار الأسد وقد نصت المادة الأولى منه على تشكيل لجنة حددت مهمتها في المادة الثانية بإنجاز خطة عمل وطنية تستهدف التمكين للغة العربية، والحفاظ عليها، والاهتمام بإتقانها، والارتقاء بها، و متابعة خطوات التنفيذ بالتعاون مع الجهات المعنية، ونصت المادة الثالثة من القرار على أن اللجنة المشكلة تجتمع بشكل دوري مرة كل شهر أو مرتين حسب ما تفرضه ضرورات العمل، وترفع تقاريرها إلى السيدة نائب رئيس الجمهورية للشؤون الثقافية. وقد جاء في الكلمة التي ألقاها السيد رئيس الجمهورية في مجلس الشعب بمناسبة أدائه اليمين لولاية دستورية جديدة "يجب إيلاء اللغة العربية التي ترتبط بتاريخنا وثقافينا وهويتنا كل اهتمامنا ورعايتنا كي تعيش معنا في مناهجنا وإعلامنا وتعليمنا كائناً حياً ينمو ويتطور ويزدهر، ويكون في المكانة التي يستحقها جوهراً لانتمائنا القومي، وكي تكون قادرة على الاندماج في سياق التطور العلمي والمعرفي في عصر العولمة والمعلومات، ولتصبح أداة من أدوات التحديد ودرعاً متينة في مواجهة محاولات التغريب والتشويش التي تتعرض لها ثقافتنا". وجاء فيها أيضاً: "لقد أعطينا في سورية اللغة العربية كل الاهتمام، وتبوأت موقعاً رفيعاً في حياتنا الثقافية منذ وقت مبكر، ومطلوب منا اليوم استكمال جهودنا للنهوض بها لاسيما في هذه المرحلة التي يتعرض فيها وجودنا القومي لمحاولات طمس هويته ومكوناته والذي يشكل التمسك باللغة العربية عنواناً للتمسك بهذا الوجود ذاته". كما جاء فيها: "ويجب أن نتذكر أن دعمنا لتعلم اللغات الأجنبية للوفاء بمتطلبات التعلم والتواصل الحضاري مع الآخرين ليس بديلاً عن اللغة العربية بل محفز إضافي لتمكينها والارتقاء بها... وعندما تضعف اللغة العربية من السهل أن يضعف أي ارتباط آخر لنا سواء بالنسبة للوطن، وبالنسبة للقومية، أو بالنسبة للدين، وهذه الأمور ترتبط باللغة". وقال السيد رئيس الجمهورية في افتتاحية دمشق عاصمة للثقافة العربية بتاريخ 24/1/2008 "ولن يستقيم الحديث عن ثقافتنا العربية دون أن تكون لغتنا العربية الأساس المتين لهذا البيت، لذلك علينا أن نعلي من شأنها، فهي لغة القرآن الكريم الذي يتوجه نحوه مئات الملايين، لغة مكتوب بها نصف تاريخ العالم وتاريخ علمه وأدبه، لغتنا لغة الشعر العظيم والفلسفة والفكر والعلم. ومن الأهمية بمكان أن نتعلم اللغات الحية لنتعرف على منجزات التقدم الإنساني دون أن يعني هذا إهمال لغتنا القومي، أو يكون مدعاة للشعور بالدونية تجاه الآخرين. علينا أن نكون فخورين بها، ولا يتحقق فخرنا إلا إذا أغنيناها بالإبداع في كل صنوف المعرفة، فهو يعزز من حيويتها، ومن عالميتها، ويجعلها فاعلة في مسار الوعي الإنساني، فلا هوية دون لغة، ولا وطن من دون هوية". ونحاول فيما يلي إلقاء الضوء على أقسام هذه الخطة التي اشتملت على أربعة أقسام، يتناول أولها المسوّغات التي دعت إلى وضعها، وتناول القسم الثاني الواقع اللغوي والعوامل المؤثرة فيه، ووقف القسم الثالث على سبل المواجهة. أما القسم الرابع والأخير فركز على القضايا الملحة التي تتطلب المعالجة السريعة.

1 ـ المسوغات التي دعت إلى وضع خطة العمل الوطنية السورية للتمكين للغة العربية: وترجع هذه المسوغات إلى:

أ ـ أهمية اللغة عامة في حياة الفرد والمجتمع، وأهمية لغتنا العربية قومياً في الحافظ على هويتنا

البقية ص٢٢

كلمة أولى

• حسين جمعة

العربية لغة الزمن الممتد

اللغة روح وجسد؛ وهي تمرّ بأطوار قد يصل عدد منها إلى الانحدار ثم التلاشي أوالذوبان في غيرها؛ ...وحين ننظر إلى تاريخ اللغة العربية نجد أنها صمدت أمام كل الظروف الصعبة والتحولات اللغوية والثقافية الكبرى وبخاصة إبان الضعف السياسي والعسكري والانحدار الاجتماعي الذي عانى منه أهلوها في بعض المراحل والأزمنة والأمكنة. أو لنقل أثبتت اللغة العربية جدارتها بأن تكون لغة الزمن الممتد وإن غُلب أهلها على أمرهم، وتراجع دورهم السياسي خاصة والحضاري عامة، كما وجدناه في مرحلة نشوء دول الطوائف أو في مرحلة السيطرة العثمانية على مقدرات الدولة العربية / الإسلامية لمدة أربعة قرون... ما يجعلنا نتساءل: ما عسى أن يفعل أهلها وقد ضعف شأنهم وآلت مقاليدهم إلى غيرهم وتحوَّل أفنان الزهر وأوراقه إلى تراب جاف مضمخ بالأسى والندم؟!. لم يعد أهلها يتقنون الحديث فيها أو يتبارون في كتابة أساليبها؛ ولم يعد أكثر العاملين عليها يروقهم الالتزام بها؛ ومالوا إلى اللهجات المحلية الممزوجة بالتركية أو غيرها. لقد انتشر الشوك في غيرما مكان من حياة الأمة العربية والإسلامية؛ وتحجرت العقول ويبست الثقافة العربية في النفوس حيث طويت في صفحات الأوراق التي غطى الغبار عليها في رفوف المكتبات شرقاً وغرباً... لقد اغتالت السلطة العثمانية الروح اللغوية العربية بمثل ما اغتالت روح المبادرة والتقدم عند العرب كافة ولاسيما في المرحلة الأخيرة من عمر الدولة؛ يوم تبنت سياسة التتريك تنتشر في كل جنبات الحياة؛ بعد أن اعتمدت السلطة الحرف اللاتيني ليحل محل الحرف العربي؛ وانتبذت روح التكامل مع العروبة الثقافية... ثم جاء الانتداب الأوروبي ليمزق الوطن العربي إلى قطع جغرافية مبعثرة ليزيد الطين بلّة وليترك طابعه الخاص في عدد من الرؤوس العربية المتغربة...

وإذا كان العثمانيون- أرادوا أم لم يريدوا- قد أضعفوا الروح العربية وقدرتها على الابتكار في صميم الوحدة العثمانية التي عملوا من أجلها فإن الاستعمار الغربي / الأوروبي وضع خطة محكمة للانقضاض على الروح العربية وثقافتها وتراثها ولغتها، وقد كان الاستشراق والتبشير أو استعمال العاميات المحلية في كل بلد عربي تحت ذرائع شتى تنبثق من واقع سياسي مريض؛ أو الذوبان في الثقافة الغربية من أبرز الوسائل التي لجأ إليها لجعل العرب أمة مقلّدة، تابعة أو مستلبة...

ولذا فإن العبث الأوروبي قد أدّى دوره في بعض النفوس تبعاً لعوامل كثيرة أبرزها العوامل السياسية التي عملت على تشويه اللغة العربية وثقافتها، ...ولا مراء لدينا في أن ذلك كله لم يحرز أي نوع من التأثير؛ اللهم إلا حيث اتجهت فيه الحداثة العربية إلى النسخ والتقليد للثقافة الغربية؛ أو تبني سياسة التغريب بالكامل كما حدث في بعض الدعوات التي ماتت قبل أن يشتد عودها كالعودة إلى الفرعونية أو الفينيقية؛ أو الكتابة بالحرف

البقية ص٢٢

الهوية اللغوية: المفهوم والملامح

• وليد محمد السراقبي

يقصد بالهوية التعبير«عن الوجود الإنساني لفريق من الناس في أرض معينة،وهذا التعبير يحمل السمات التفصيلية لهذه ال(هو) الفردية والجماعية في ائتلافها واختلافها، ولكنها في النتيجة تصدر عن تراث واحد ينتمي إليها في شتى شؤون الحياة «١»و مفهوم الهويّة وثيق الصلة دائما بأصل الشخص و جذوره،و بالوشائج التي تربطه بالآخرين.

فكل من علم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي، وعلم الإنسان الاجتماعي واللغوي يشير إلى مركزية الارتباط الحاصل بين اللغة والهوية.٢ فقد غدت بصمة الصوت جزءاً أساسياً في الكشف عن الجرائم ،ما يدفع إلى تأكيد أنه لا شيء أشد مماثلة لمشاعرنا من إيقاعات أصواتنا... وأن العقل متأصل في المحتوى القضوي للغة مع دخول العاطفة في الصوت حتى النخاع»٣.

واللغة الأم هويّة حاملها من جهة، وهويّة المجتمع الصغير والكبير الذي ينتسب إليه، و أهم مميزاته الثقافية المنبئة عن هويتها.. و تتكون هويته الشخصية و الاجتماعية و الثقافية من خلال الانتماء و الارتباط بالآخرين عبر سيرورة دينامية مستمرة، وأداتها في ذلك مختلف العناصر الثقافية و الحضارية، معارفَ و معتقدات و أخلاقاً و أعرافاً و عادات،التي يكتسبها الطفل من خلال التنشئة الاجتماعية التي تؤدي دور الناقل في الوقت نفسه، فهي معين ثقافته و أداة تفكيره»(١).فاللغة تحتم على ناطقيها رؤية معينة للواقع،وتصوراً له، وطريقة تنظيم الثقافة الناطقة بتلك اللغة، حتى أطلق على هذه الرؤية مصطلح (الحتمية اللغوية).

تتأتى أهمية اللغة من جوانب عدة منها :

أن اللغة أداة تعبير وإفصاح، ووسيلة تفكير، ومصدر أُنس اجتماعي إنساني بين الناطقين بها،ولا غرابة في ذلك، فهم يولدون حاملين نظاماً لغوياً يتهدّون بقواعده، ويستوعبون معطيات المجتمع الذي فتحوا أعينهم بين ظهرانيه. وقديماً نظر سقراط إلى أحد تلاميذه الصامتين و خاطبه بقوله : تكلّم حدّثني حتى أراك. فهذه المقولة تدلّ على أن اللغة هي مقوّم الوجود الحقيقة للإنسان، فليس له وجود بغير اللغة، و هي عبارة تحمل في طيّاتهما الإشارة إلى أهمية اللغة في التواصل الإنساني، و إلى الوجود الاجتماعي أيضاً.

٢-أن اللغة أهم مقوّم من مقوّمات التراكم الحضاري والمعرفي لأي مجتمع إنساني. إنها خزان أشكال ثقافية من التمثل. وهذه القيمة الأخيرة هي وحدها القيمة التي تمتلك سنداً شرعياً.وهذا مرجعه إلى أن اللغة المحلية تحمل الهوية الأصيلة لمتحدثيها.

٣-أنّ اللغة هي السياجُ الأهمُّ الذي يوحّد الأمّة الناطقة بها، و يعمل على حماية المجتمع من عوامل الانحلال و الذّوبان، لأنها (مستودع لكل ما للشعب من ذخائر الفكر و التقاليد و الفلسفة و الدين...إن روح الشعب يكمن في لغته الآباء و الأجداد (٢).

و لغتنا العربية الفصيحة إلى جانب كونها أداة تفكير ووسيلة تعبير، و أداة تواصل هي (جامعة شملنا، و أساس قوميتنا،و الرابطة التي تجمع بين أبناء أمتنا..... و ذاكرة الأمة و مستودع تراثها، و جسرها للعبور من الماضي إلى الحاضر، أو من الحاضر إلى المستقبل، و هي قلعتنا الحصينة للذود عن هوّيتنا و ذاتيتنا الثقافية، ووحدتنا القومية.... أسهمت في مسيرة الحضارة البشرية أيّما إسهام، فكانت لغة العلم والثقافة..... وإنّ إهمالنا لها اجتثاث لشخصيتها من مسارها التاريخي، ومن ثقافة مجتمعنا، فتغدو هذه الشخصية دون هويّة، و يضيع طابعها، و تُمحى ملامحها..)) (٤).

وللغتنا العربية من المقوّمات والخصائص مالا نجده عند غيرها من اللغات التي نحترمها جميعاً. و لعلّ من أهم هذه المزايا :

١- البعد الديني للعربية، فهي لغة القرآن الكريم الذي حملها عبر أربعة عشر قرناً من الزمان، ووقف بها سدّاً منيعاً أمام كل الحملات الشعوبية التي عصفت بمنطقتنا العربية بدءاً من التعجيم فالتتريك فالفرنسة.

٢- الوضوح و السهولة.

٣- الحيوية و المرونة و التطوّر و الطواعيّة.

٤-غنى في الألفاظ والتراكيب.

٥- التنظيم : فهي لغة جامعة مانعة، غانية بنفسها، لا تحتاج إلى قواعد من اللغات الأخرى أو ترفض أي عنصر استغنت عنه عبر تاريخها الطويل، فمنذ ان فُرِّع الكلام إلى أقسامه الأساسية لم يضف إلى التقسيمات شيء جديد لم يكن في اللغة نفسها (إنها ذات نظام كلي ذي أنظمة متفرعة عنه، فهناك نظام صوتي وآخر مقطعي، وآخر تنغيمي، ونظام صرفي ونحوي....)

٧- الإيجاز و الاقتصاد : ومن مظاهره تعدد المعاني لمبنى صرفي واحد فصيغة مثل صيغة (استفعل) في العربية يكون لها دلالات متعددة بتعدد السياقات الواردة فيها فهي تدل على الصيرورة في قولنا : استحجر الطين، أي صار حجراً، و تدل على الاعتقاد في قولنا : استصغر الرجل المصيبة، أي وجدها و ظنها صغيرة، و تدل على الطلب في قولنا : استعلم.... و من مظاهره أيضاً تعدد المعنى السياقي للفظ الواحد فالفعل (ضرب) يكون متعدد المعاني بتعدد السياقات، فمعناه في قولنا : ضربت مثلاً غير معناه في قولنا : ضربت الولد، و غيّر معناه في قولنا : ضرب النقود، و غير معناه في قولنا : ضرب في الأرض، و غير معناه في قولنا ضرب قبّة،.....

فكم هي المصطلحات التي جدت بفعل التطور العلمي والمجتمعي فقابل ذلك مصطلحات كثيرة جديدة بسبب طواعية البناية الصرفية لمفردات اللغة العربية فقيل: التصحرُ، والتأقلُم،والعَوْلمة، والعَوْربة، والحَوْسبة،واللبننة،...

لقد أبان المستشرق الأمريكي وليم ورل٧،مدير مدرسة المباحث الشرقية عما تمتاز به العربية من لين و مرونة وقدرة على النماء و التطوّر والتكيّف وفق متطلبات العصر فقال «إنّ للغة العربية من اللين والمرونة ما يمكنانها من التكيّف وفق مقتضيات العصر، وهي لم تتقهقر فيما مضى أمام أي لغة أخرى من اللغات التي احتلّت بها، وهي ستحافظ على كيانها في المستقبل كما حافظت عليه في الماضي».

وأقرَّ المستشرق الأمريكي أيضاً رتشارد كوتهيل٨ بالهوّة بين بعض الغربيين و بين تقدير اللغة العربية حق التقدير فيقول : « قلّ منا نحن الغربيين من يقدّر اللغة العربية حقّ قدرها من حيث أهميتها و غناها، فهي بفضل تاريخ الأقوام التي نطقت بها و بداعي انتشارها في أقاليم كثيرة، و احتكاكها بمدنيات مختلفة، قد نمت إلى أنّ أصبحت لغة مدنية بأسرها بعد أن كانت لغة قبليّة. لقد كان للعربية ماض مجيد، و في تقديري سيكون لها مستقبل باهر «٩.

وبيَّنَ برنارد لويس المستشرق الأمريكي مكانة اللغة العربية وعلاقتها بالفكر،فأثنى عليها من جانب، وخانته الموضوعية فغمز من قناة لغتنا من جانب آخر، فقال: «لكن اللغة العربية ناقل فكر دقيق، صحيح أنها غنية بالشر١٠ والفصاحة والآداب، ويمكن لمن يمارسونها ألا يقولوا مايقصدونه بالضبط، أو يقصدون بالضبط ما يقولونه، لكن ذلك لا يعد واحداً فقط من مظاهر العربية فهي أيضاً لغة تتصف بوضوح ودقة عاليين،وهي أداة تواصل علمية وفلسفية، وكانت اللغة اليونانية النظير الوحيد لها حتى العصور الحديثة».١١

١-سالم معوش،أزمة الهوية والوجود،بحوث الدائرة المستديرة،ليبيا،٢٠٠٨،ص١١.

٢-جوزيف،جون: اللغة والهوية، عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ٢٤٢ ، لسنة ٢٠٠٧،ص٣١و٣٢.

٣-المرجع السابق ،ص٤٣.

(١) السيد، د. محمود : لغتنا الأم العربية الفصيحة ، مجلة مجمع اللغة العربية ، مجلد ٨٤ ، ج١ ،ص ١٣ .

(٢) اللغة بين القوميّة و العالميّة :د.إبراهيم أنيس، ،القاهرة،١٩٧٠، ص ١٠٠.

(٤) السيّد، د.محمود: لغتنا الأم العربية الفصيحة ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مجلد ٨٤/ ١/ ١٣-١٤

٧-فتاوى كبار الكتاب والأدباء،الكتاب الشهري،٤،وزارة الثقافة ،دمشق،ط٢، ٢٠٠٣م،ص١٥.

٨ -المرجع السابق نفسه،ص٨.

٩ - المرجع السابق نفسه،ص٨.

١٠ - لعله يقصد ماف اللغة العربية من استخدام أساليب التعمية والتورية والكناية ، وما إلى ذلك.

١١- لويس، برنارد: الإسلام والغرب، ترجمة د. فؤاد عبد المطلب، ط.اتحاد الكتاب العرب، دمشق،٢٠٠٧م،ص١٠٦.

الواقعية السحرية أو العجائبية

• باسم عبدو

منذ سنوات قليلة أصبح الأدباء والنقاد في سورية يتداولون مصطلح (العجائبية)، الذي انتشر منذ زمن بعيد في السرديات (الرواية والقصة) بأمريكا اللاتينية، وهو المصطلح المرادف (للواقعية السحرية). ومن الصعب تحديد مفهوم شامل لهذا المصطلح تحديداً دقيقاً، وذلك لتنوع الموضوعات التي يدخل في فضائها ويعطي صورة عنها، ويحيط بكل تفرعات ومسارب النص ومساراته، بسبب التداخلات وتشعبّها وتعدد الأساليب والتخيلات والهواجس، والغرق في التأملات المعقدة والأحلام واليوتوبيا التي يتدخل فيها الرمز والأسطورة والطبيعة المتنوعة، في جمالها وغموضها وتشابكات نباتاتها وغاباتها المتآلفة والمتنافرة وتعدد بيئاتها ومناخاتها وتبدل طقوسها اليومية والفصلية، ووجود الشعوب القديمة التي أسست حضارات عريقة فيها، والتي ما تزال تحافظ على وجودها وعاداتها وتقاليدها وإيمانها الغيبي واعتمادها في حياتها على عناصر الطبيعة، ثم اندماجها التدريجي في المجتمعات الحديثة.

ويحدد تودوروف في كتابه بعنوان (مدخل إلى الأدب العجائبي) الصادر عام ١٩٧٠ أصل كلمة (عجائبية). ويعود أصلها الى اللاتينية المأخوذة من الإغريقية التي تخص المخيلة. وتعني في القرن السادس عشر (كل ما هو شارد الذهن وأخرق وخارق ثمَّ خيالي). وفي قاموس لغة القرن السابع عشر جاء: (أن العجائبية تعني كل ما يقع خارج الواقع، وكل ما هو مستبعد وشاذ وخارق). و (الغريب والعجيب) هما الحدَّان اللذان يؤطران مفهوم العجائبي. ويعرّف تودوروف (الغريب) بـ (أنه ذلك الذي تتلقى فيه الأحداث التي تبدو على طول القصة فوق طبيعية، تفسيراً عقلانياً في النهاية. أما (العجيب) فيعرّفه بـ (أنه ذاك الذي يقترح علينا وجود فوق الطبيعي من جرَّاء بقائه غير مفسّر وغي متعقّل).

يتوقف القارئ لرواية واسيني الأعرج (أحلام مريم الوديعة) أمام الواقعية السحرية بدهشة، وهو يعيد قراءة المشاهد السحرية العجائبية مرات عدة..! فوالد مريم ينتحر على طريقة الساموراي بعد أن يشرب الخمرة حتى الثمالة، ثم يتسلل إلى قنينة النبيذ ويدخل إلى قلبها ويغلق فوهتها بفلّينة..!

إن القاص أو الروائي الذي يمزج (الوقعي بالسحري)، فهو يرسم لوحة إبداعية تشكيلة ملونة وجميلة محمَّلة بالرمز والسحر، وينقل من خلالها هذا (الداء السحري) إلى المتلقي الذي يؤدي بالنتيجة إلى حالة الإمتاع وإبقاء النص حياً في ذاكرته فترة طويلة. ومن جهة ثانية، وحتى يرتقي السارد في نصّه الإبداعي يستخدم (اللاشعور) في توظيف الأسطورة والتماهي مع المتخيل، ويتجاوز فنياً ترتيب الزمن الخطي في تسلسل الأحداث .. ويمكن تشبيه هذا الزمن بالطريق المستقيم الذي يخلو من التعرجات والانحدارات والأكواع والذي يبدأ بالحدث من النقطة (أ) وينتهي في النقطة (ي).

إنَّ الشخصية الساردة في قصة (غرفة التماثيل) لـ"بورخيس" تقول: وجدوا في الغرفة الخامسة مرآة في شكل دائري من صنع سليمان بن داود لا تقدر بثمن، لأنها صنعت من معادن مختلفة، فمن نظر في قعرها رأى وجوه آبائه وأبنائه منذ آدم أول الخلق وإلى من سيسمع صوت النفخ في الصور). . هذان مثالان مأخوذان من رواية لـ واسيني الأعرج وقصة لـ لويس بورخيس عن الواقعية السحرية أو العجائبية المثيرة للدهشة.

ويحدد تودوروف ثلاثة شروط في الأدب العجائبي هي:

أولاً: أن يُجْبر النص القارئ على اعتبار عالم الشخصيات، عالم أشخاص أحياء.. ويُجْبره كذلك على التردد بين تفسير طبيعي وتفسير خارق لها.

ثانياً: أن يكون ذلك التردد محسوساً من قبل إحدى الشخصيات. وفي الوقت نفسه يبقى التردد ماثلاً ويصبح غرضاً أو (موضوعاً) من أغراض الأثر. وفي حالة القراءة الساذجة يتماهى القارئ الحقيقي مع الشخصية.

ثالثاً: من المهم أن يتبنى القارئ موقفاً ما إزاء النص، كأن يرفض سواء التأميل المجازي (الاستعاري) أو التأويل (الإنشائي). وهذه الضرورات الثلاث ليست ذات قيمة متساوية. فالأولى والثالثة تمثلان حقاً الجنس الأدبي. أما الثانية فيمكن ألاَّ تكون مشبعة.. وعلى كل فعالية فالأمثلة تستجيب للشروط الثلاثة.

طه حسين والرافعي وجبران وتجديد العربيّة

•ممدوح أبو الوي

كثيرة هي المعارك النقدية التي دارت بين الكتّاب والأدباء والمفكرين، ولاسيما في ميدان اللغة العربية وتجديدها، ومن أبرزها تلك التي جرت بين سلامه موسى ومصطفى صادق الرافعي، و بين خليل السكاكيني وشكيب أرسلان، حول موضوع الإطالة والإطناب، وقد كتب الدكتور طه حسين(١٨٨٩-١٩٧٣) فيها ونشر ما كتبه في مجلة «السياسة» في ٦ شباط ١٩٢٤، وأعاد نشره في «حديث الأربعاء». يتساءل الدكتور طه حسين عن سبب الخصام الذي يبدو غير واضح، فمصطفى صادق الرافعي لا يرى فرقاً كبيراً بين المذهب الأدبيّ القديم وبين المذهب الأدبيّ الجديد.

وكان يرى أنَّ الذوق هو نفسه الفهم، أيّ أنّ الذوق والفهم لفظان لمدلول واحد، ولكنَّ الحقيقة، برأي الدكتور طه حسين، أنّ الفهم شيء، و الذوق شيء آخر. يقول الدكتور طه حسين : إنّنا فهمنا ما ذهب إليه الرافعي دون أنْ نتذوقه أو نعجب به. ويتذوق معظم الناس الموسيقى دون أنْ يفهموها كما يفهمها الموسيقيون أنفسهم. وقد يجتمع الذوق والفهم أحياناً، أيّ قد يتذوق شخص معين الموسيقى ويتفهمها بالوقت ذاته.ولكن ليس دائماً يحدث هذا، فقد نفهم بيتاً من الشعر، ولكن بالوقت ذاته قد نكرهه، ونكره صاحبه.

ويرى مصطفى صادق الرافعي أنَّ أنصار التجديد هم في الغالب ممن يتقنون لغات أجنبيةً، وضعفاء باللغة العربيُة وآدابها، ويردّ طه حسين قائلاً: إنّ الأمر ليس كذلك، فبين أنصار التجديد من هم أقوياء في الآداب العربيّة والأجنبية معاً، وبين أنصار التجديد من لا يعرف شيئاً عن الآداب الأجنبية.

ويرى طه حسين أنَّ التجديد حركة دائمة وقديمة، والأمثلة كثيرة في الأدب العربيّ، ففي صدر الإسلام حدث تجديد للأدب العربيّ، وكان هناك تجديد في العصر العباسيّ على يد بَشار بن برد (٧١٤– ٧٨٤م) وأبي نواس (٧٦٢- ٨١٣م) والبحتري (٨٢١- ٨٩٧م) وابن الرومي (٨٣٥-٨٩٦م) والمتنبي (٩١٥- ٩٦٥م) وغيرهم، ولم يكن هؤلاء المجددون ضعفاء في اللغة العربيّة وآدابها، وكان النقاد في ذلك الوقت يختلفون في شعر هؤلاء المجددين، فبعضهم كان مع التجديد، وبعضهم الآخر ضده.

إنّ ظاهرة الصراع بين القديم والجديد ظاهرة موجودة في الآداب العالمية كلها بما في ذلك الأدب الفرنسيّ الذي تجدد أكثر من مرة، لأنَّ الحياة تتجدد، والآداب مرآة الحياة، تتجدد بتجددها، فأنصار الجديد يريدون أن يفهموا الناس وأن يفهمهم الناس دون قطع الصلة بالماضي.

ويرى الرافعي ضرورة الحفاظ على اللغة العربية كما هي دون تطويرها وتطويعها لمستلزمات العصر. فيجيبه طه حسين: «ونحن نعترف بأننا نخالف الأستاذ كلّ المخالفة في هذا الرأي ونسمح لأنفسنا بأن نراه عقماً، ونسمح لأنفسنا بأنْ نزعم أنَّ لنا في هذه اللغة التي نتكلمها، ونتخذها أداة للفهم والإفهام حظاً يجعلها ملكاً لنا، ويجعل من الحق علينا أنْ نضيف إليها ونزيد فيها كلما دعت إلى ذلك الحاجة، أو قضت ضرورة الفهم والإفهام، أو كلما دعا إليه الظرف الفني. لا يقيدنا في ذلك إلا قواعد اللغة العامة التي تفسد اللغة إذا تجاوزناها». ورأى طه حسين أنَّ اللغة تتجدد دائماً، فهناك ألفاظ تموت، وتحل مكانها كلمات جديدة.

وأخيراً يرى طه حسين أنّ الرافعي يخطئ في فهمه لأوروبا ولأمريكا إذ يرى أنّ الفساد منتشر هناك انتشار الوباء. فكأنَّ الناس هناك لا عمل لهم سوى ممارسة الفساد، والأمر ليس كذلك ولو كان كذلك لما تقدم العلم لدى الأوروبيين والأمريكيين يقول طه حسين : « إنّما الإنسان إنسان فيه الخير وفيه الشر، فيه الإيمان و فيه الإلحاد، فيه الفضيلة وفيه الرذيلة. فيه الإباحة التي لا حدَّ لها، وفيه التحرج الشديد» ويتابع : «ذلك أنّ مذهبنا الجديد لا يقتل اللغة ولا يصرف الناس عنها ولا يغير من أصولها وقواعدها إنّما يريد أن تكون اللغة حية نامية».

وقرأ مصطفى صادق الرافعي مقالة الدكتور طه حسين وردّ عليه، فكتب مقالةً بعنوان « القديم والجديد « قال فيها :» أقول للأستاذ الفاضل الدكتور طه حسين في رفق ولين، وفي عجلة أيضاً... أنا مع إعجابي بالدكتورَ الفاضل أرى أنّه مستهتر بأشياء... وأنا وأمثالي نحرص أشد الحرص على هذه اللغة... لست أنكر التجديد...ثم يا أيها الملأ أفتوني ما هو الجديد ؟أهو ذلك الخيال الشارد المجنون، أم تلك الشهوات المتوثبة المتلهفة، أم العامية السقيمة الملحونة، أم هو في الحقيقة رغبة في النبوغ قبل أنْ تتم الأداة و تستحكم الطريقة، كما هو شأن فريق من الكتّاب، فيختصرون الطريق بكلمة واحدة هي المذهب الجديد، وبين رغبة في التعصب للآداب الأجنبية، كما هو شأن فريق آخر، وبين رغبة في الحطّ من قيمة بعض الناس و ورميهم بالجهل والسخف...»(١)

ويقول الدكتور طه حسين في مقالة بعنوان « التجديد في الشعر « : « فليس على شبّابنا من الشعراء بأسٌ، فيما أرى، من أن يتحرروا من قيود الوزن والقافية، إذا نافرت أمزجتهم وطبائعهم، لا يطلب إليهم في هذه الحرية إلا أنْ يكونوا صادقين غير متكلفين، وصادرين عن أنفسهم غير مقلدين لهذا الشعر الأجنبي «(٢)

ويتابع الموضوع ذاته في كتابه «حافظ وشوقي» فيقول:»والناس يخطئون حين يظنون أنَّ أصحاب الجديد لا يرون اللذة الفنية إلا في الجديد، وهم مخطئون أيضاً حين يرون أنّ أصحاب القديم لا يجدون اللذة إلا في القديم، فأنا من أصحاب الجديد ومن أشدهم إلحاحاً في تاييده، والدعوة إليه، ولكني، على ذلك، أجد في قراءة القديم والجديد لذةً، لا تعادلها لذةٌ، ومتاعاً، ليس يشبهه متاع، ذلك لأنّ القديم والجديد لم يستمدا جمالهما الفني، من القدم والجدة وحدهما،...» (٣)

لقد اختلف الدكتور طه حسين مع المحافظين من أمثال مصطفى صادق الرافعي، وكذلك اختلف مع اليساريين من أمثال رئيف الخوري، فقد جرت مناظرة بينهما في أيار عام ١٩٥٥م في بيروت وكان موضوعها : (لمن يكتب الأدب؟ للعامة أم للخاصة؟) وكان موقف رئيف الخوري أنَّ الأدب يكتب للعامة، في حين كان يُفترض أن يقف طه حسين مع وجهة النظر الأخرى، ولكنّه وقف موقفاً محايداً، ورأى أنَّ يكتب الأدب لمن يقرأ،أيّ لكلّ القراء وليس للعامة أو للخاصة.

وكان جبران خليل جبران (١٨٨٣ – ١٩٣١م) من أنصار التجديد، فكتب مقالةً عام ١٩٢١م بعنوان «مستقبل اللغة العربيّة « يقول فيها : « إنّما اللغة مظهر من قوة الابتكار في مجموع الأمّة، أو ذاتها العامة، فإذا هجعت قوة الابتكار، توقفت الأمّة عن مسيرها، وفي الوقوف التقهقر، وفي التقهقر الموت والاندثار «(٤).

ويرى جبران أنّ مستقبل اللغة متوقف على الأمّة التي تتكلمها، وتتعزز مكانة اللغة، أو تضعف إذا تعززت مكانة الأمة التي تتكلمها، أو ضعفت. فعندما ضعفت مكانة الآشوريين، ضعفت مكانة اللغة الآشوريّة، والأمثلة على ذلك كثيرة. مستقبل اللغة العربية يتوقف على مستقبل الفكر المبدع، فإذا كان ذلك الفكر موجوداً، كان مستقبل اللغة العربيَّة عظيماً كماضيها. ويذكر جبران خليل جبران أنَّ

البقية ص٢٣

اللغة العربية لغة الحضارة والإنسانية

• عبد الله الشاهر

تجمع معظم الدراسات في العالم على أن اللغة وسيلة للتعلم، إلى جانب كونها وسيلة اتصال وتواصل بين أفراد المجموعة البشرية، لذلك فإن اللغة متصلة كل الإتصال بحياة الأمة نشأ بنشوئها وتنحو بنحوها وترافقها في جميع أحوالها السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية والعلمية.

وقد عرفت اللغة على أنها ألفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وإذا كانت اللغة بعمومها أصوات تعبر عن مراد القوم فإن اللغة العربية تمتلك قدرة عالية في التعبير عن المراد والطموح ذلك أنها تمتلك أوسع مدرج صوتي عرفته اللغات وهذا يؤهلها لكي تكون ذات قدرة عالية في التعبير والتشكيل والتلوين الصوتي ويؤهلها كذلك لأن تأخذ مساحة واسعة في غنى مفرداتها، فهي أغزر اللغات وهذا يعطيها الصدارة في القدرة على استيعاب حركة المجتمع والعلم والحياة عامة.

وتعتبر اللغة العربية روح الأمة ووجدانها ، بها يتواصل أبناؤها فيما بينهم، ومن خلالها يتوارثون تاريخهم، وعلى وقع مفرداتها ترق مشاعرهم حتى تشف لترتقي إلى عواطف وأحاسيس وأفكار، وعليها يعقد الأمل في روابط الحب والإخاء والوحدة والتوحيد بين أبناء الأمة، وهي عنوان الهوية، وجوهر الوجود العربي ولذلك فإن قوة ارتباط اللغة وطيدة الصلة بقوة المواطنة والإنتماء.. ولذلك فقد اعتبر (فيخته) أن اللغة أساس القومية، ورأى زكي الأرسوزي أن من عوامل خلود الأمة العربية هو اللسان العربي.

واللغة العربية لها أثر كبير في حياة العرب والمسلمين فهي لغة القرآن الكريم وهي لغة الضاد التي انفردت بها عن سائر لغات العالم وعلى هذا الأساس قال الشاعر:

لغة إذا وقعت على أسماعنا
كانت لنا برداً على الأكباد
ستظل رابطة تؤلف بيننا فهي
الرجاء لناطق بالضاد

واللغة العربية نسبة إلى العرب، وقد سموا عرباً لأنهم مايزالون بين الأمم موسومين بالبيان في الكلام، والفصاحة في المنطق، والذلاقة في اللسان، والعرب اسم مشتق من الإبانة لقولهم (أعرب الرجل عمّا في ضميره إذا أبان عنه)، ومنه قوله (ص) (الثيّب تعرب عن نفسها)

وإذا كان العرب أصحاب إبانة فإن ذلك يعني أن لغتهم امتلكت القدرة في التصوير، والحسن في الأداء، والبلاغة في الإيجاز، والإيضاح والبيان فسحرت القلوب ورسخت في الأذهان حتى أبدع أبناؤها في الصياغة والبلاغة حتى عشقها من كان من غير العرب، وهذا دليل قدرة ومرونة وغنى ولذلك جاء التنزيل الكريم على أكمل لغة وأوضح تعبير، وأفصح لسان، وقد وصف الله تعالى لسان العرب بالإبانة في قوله تعالى چ □□ □ □□□□□□□□□□ □□ چ الشعراء: ١٩٣ – ١٩٥

إذن فاللغة العربية كانت ومازالت عند العرب معجزة الله الكبرى في كتابهم المجيد، وقد عرف العرب مكانة لغتهم عند الله جل جلاله فكانت عندهم بمرتبة القداسة والإجلال وبلغتهم انتشر الإسلام في العالم ﴿لغة القرآن الكريم﴾ فاستعربت شعوب إذ وجدت في اللغة العربية إضافة لكونها لغة القرآن الكريم، لغة العمق والشعور والتفكير والمنطق فبرز من غير العرب من أعلام اللغة وجهابذة الفكر ما يشير إلى أن اللغة العربية تأسر القلوب وتستحوذ على العواطف، وتفتح نوافذ للفكر والفلسفة، وعلى هذا فقد كانت اللغة العربية أداة الإتصال بين العرب وشعوب كثيرة، هذه الشعوب اخذت من العرب وباللغة العربية جزءاً كبيراً من ثقافتهم واشتركت معهم في الكثير من مفاهيمهم وأفكارهم ومثلهم، وهذا دليل على أن اللغة العربية تحمل رسالة إنسانية في بعدها الديني والفكري والإنساني وما يؤكده أنها استطاعت أن تكون لغة حضارة إنسانية واسعة كان العرب نواتها الأساسية، واستطاعت كذلك أن تكون لغة العلم والسياسة والتجارة والعمل والتشريع والفلسفة والمنطق والأدب والفن.

لقد مر زمن طويل كانت اللغة العربية هي اللغة الحضارية الأولى في العالم، وهذا ما جعل الألماني (فريتاغ) يقول (اللغة العربية أغنى لغات العالم) وهذا معناه أنها لغة ثابتة في أصولها وجذورها، متجددة بفضل ميزاتها وخصائصها وهذا ما عناه (وليم ورك) إذ يقول (إن للغة العربية ليناً ومرونة يمكنانها من التكيف وفقاً لمقتضيات العصر).

إن هذا كله من قدرة اللغة العربية وعظمتها ومواكبتها لمجريات العصر أما إذا بحثنا في الجذور فإن جذورها راسخة في القدم وتاريخها تاريخ الإنسان كوجود فقد قيل أن أول من تحدث اللغة العربية آدم عليه السلام علّمه الله إياها ضمن اللغات التي علّمه. كما قال تعالى چ □□□□ چ البقرة: ٣١ وتداولها أجيال معروفون من أحفاد نوح إلى اسماعيل عليهما السلام إلى أن نزل بها القرآن الكريم فكانت اللغة العربية ومازالت ذات أهمية قصوى، وخصوصاً لدى المسلمين كافة كونها اللغة المقدسة لديهم لأنها لغة القرآن الكريم ولا تتم الصلاة إلا بإتقان بعض منها.

واليوم فإن اللغة العربية ذات قيمة جوهرية كبرى في حياة العرب، لأنها الدالة والمدلول، ومحط أفكارهم، وآمالهم وآلامهم، وهي البيئة الفكرية التي يعيش فيها العرب ويقيمون روابط الإتصال فيما بينهم، وهي منفذ الأمل فيما يطمحون إليه من وحدة ولم الشمل فيما بينهم.

وإذا كنا نتحدث اليوم عن اللغة العربية بمناسبة اعتبارها إحدى اللغات الرسمية الست في منظمة الأمم المتحدة فلأنها وإلى يومنا هذا تحتفظ بمركزها العالمي في الثقافة والمدنية وستبقى تمارس هذا الدور الحضاري والريادي لامتلاكها المؤهلات التي تجعلها في مقدمة لغات العالم، ولتمتعها بخصائص ليست موجودة في غيرها من لغات العالم من غزارة في الألفاظ، وليونة في المادة اللغوية وقدرة في التراكيب ومن صرف ونحو وأدب وخيال، مع الإستطاعة في التعبير عن مدارك العلم المختلفة، يقول الدكتور عبد الوهاب عزام (العربية لغة كاملة، محببة، عجيبة، تكاد تصور ألفاظها مشاهد الطبيعة، وتمثل كلماتها خطرات النفوس، وتكاد تتجلى معانيها في أجراس الألفاظ، كأنما كلماتها خطوات الضمير ونبضات القلوب، ونبرات الحياة).

وهنا يجدر بنا أن نحمل لغتنا بقلوبنا، وأن نرسم بها ولها مسار حياتنا، كي تكون مصدر ثراء لأحاسيسنا وأفعالنا، ومحط رجاء لأجيالنا، وحافز وحدة بين أبناء العروبة فباللغة تسمو المشاعر وترتقي النفوس، وتتوحد الأفكار والأمصار إنها روح الأمة ومجالها لذا يجب إنعاشها كي تكون لنا عامل وحدة ومحبة وإخاء.

خطاب اللغة العربية للأجيال العربية:

بلاد العرب أوطاني من الشام لبغدانِ

•عز الدين دياب

توطئة:

لا يـزال الحديث عن تطوير اللغة العربية، و الاهتمام بها تدريباً وكتابـةً وتعليمـاً يـتردد في أكـثر من بلد عربـي، وتعقد مـن أجلها الندوات، والمحاضرات، والمؤتمرات.

ولاشـك أن الدعـوة للارتقـاء باللغـة العربيـة، وليـد الحاجة أن تصبـح هـذه اللغـة حاضـرة في المدارس، والجامعـات، ومواكبـة الأبحـاث حضوراً قويـاً يضاهي اللغـات الأجنبيـة، وأن تمتلك كل المحفـزات والتـي تجعلها قـادرة على التعامـل مع معطيـات العصر بنجـاح خاصـة في أعقاب ثـورة المعلومـات، والاتصـال، والهندسة الوراثية.

والحـق أن الدعـوة لأن تمتلـك اللغـة العربيـة كل المحصنـات التـي تجعلها قـادرة علـى استيعـاب الثـورة الرقميـة، وتجلياتها، ومشاهدها، وحقولها مهمة عربية لا تقبل التأجيل إطلاقاً..

إذاً؛ لابـدَّ للقطاع الجدي من أشيـاء الأمة العربية استنهاض لغته لأنَّهـا في الحقيقة خطابه للأجيال العربيـة، جيلاً وراء جيل فهي مدخله إلى النهضة العربية.

غـير أن الاهتمـام الفعلي والعملـي باللغة العربية لابـدَّ أن يستند إلى قاعـدة كبـيرة ومتنوعـة مـن الآليـات، والمحـددات الماديـة، والمعنويـة، والأخلاقيـة، وأن يكـون الإيمـان باللغـة العربيـة وجدواهـا في المشروع الحضاري العربي قوياً وصحيحاً لأنها اسمنا، ولساننـا، وتاريخنـا، وتراثنـا، وذاكرتنـا، وخطابنـا إلى الأمم في معركة الحضارة الإنسانية.

لكن الإيمان باللغة العربية ودورها في مشروعنا الحضاري العربي لابدَّ أن يترافق ويتزامن مع إيماننا بأنَّنا أمة عربية و احدة، وأن عروبتنا الحصن المنيع، والسند الاستراتيجي الحضاري للغـة العربية في مشوارها بين الأجيال العربية، وأهم رافعة لقيم الشباب العربي في معركة الحضارة العربية، فهي الناطقة بهويته العربية.

وعلـى هـذا الأساس لا غيره فـإن القطـاع الجدي من أبنـاء الأمة العربيـة لابـد أن يكون جيـل المهمـات القومية في زمـن التحديات التي تواجه أمته العربية.

وهـذا مضمونه في اللحظة الراهنـة أن يواكب الدعوة إلى تطوير اللغـة العربيـة الحرص علـى انبثاقهـا مـن تجربتهـا وتاريخهـا، وإنجازاتهـا، وإسهامهـا الإنسـاني، وأن يترافـق كل ذلـك مع هتاف الأمة العربية لنفسها، وهويتها، ووجودها، واستمرارها في معركة مصيرها: نحن عرب..

وهـذا شرطه العودة إلى الذاكـرة الشَّعبية لأنهـا الحضن الحنون للغـة العربية، وإلى الفكر العربي الوحدوي للاستعانة بمطارحه من آراء ومفاهيم وأطروحات قومية،وما قاله في رده على الحركة الشَّعوبيـة على اختلاف نزعاتها ومشاربهـا في أعقاب نهوضها على حسـاب ضعـف الأمـة العربيـة، وخاصـة في أعقـاب الدعـوة إلى تتريـك العرب، ومن بعد الاحتـلال الأوربي الـذي سعى لأن تكون اللهجات المحلية على حساب اللغة العربية الفصحى.

فك الاشتباك بين مفهوم: البدو والعرب.

تحيلنـا هـذه الإطلالـة مباشـرة إلى الإشكال/الاشتبـاك الـذي أشـاره العلامـة العربـي ابـن خلـدون في مقدمتـه ذائعـة الصيـت، والشهـرة المنهجيـة التي أسسـت لعلم اجتماع عربـي حول كلمة / مصطلح عربي والبدوي، وكيف استغلَّ رأيه أبشع استغلال من قبل الشعوبيـة، في أعقاب الضربات التي وجهت إلى الأمة العربية من قبـل الاستعمار الأوربي، ومن بعد من قبـل الإمبريالية العالمية لا حتى لا تنهض هذه الأمة، وتمارس دورها الحضاري.

وهنـاك دلائـل تاريخيـة كثـيرة البـدوي شفاهيـة، ومكتوبة عن التحـرك الشعوبي الجديد ضد الأمة العربيـة، والشماتة بضرب مواقعهـا المتقدمة علـى طريق الوحـدة العربية، وحريـة الشعب العربـي، ونضاله المشـروع من أجل العدالـة الاجتماعية، وخاصة توزيع الثروات العربية بين الأقطار العربية.

إذاً؛ بصـدد كلمة عرب عند ابن خلدون نورد ما كتبه الدكتور عبد الواحـد وافي في موسوعتـه بأجزائها الثلاث: مقدمـة ابن خلدون – ج١ – سلسلة التراث – مكتبة الأسرة – مصر العربية – عام ٢٠٠٦ – للصفحات: ٢٣٤ – ٢٣٥ – ٢٤١.

يـورد الدكتـور وافي الفصول التـي ذكر فيها ابن خلـدون مصطلح: «عـرب» والتـي لا أجد أي مـبرر لذكرها، حيث يعلـق عليها بقوله: «والحقيقـة أن ابـن خلـدون لا يقصد مـن كلمة عـرب في مثل هذه الفصـول الشَّعـب العربـي، وإنَّمـا يستخـدم هـذه الكلمـة بمعنـى الإعـراب أو سـكان البادية الذين يعيشون خـارج المدن، ويشتغلون بمهنة الرعي»..

ثم يردف قائلاً: «ومع ذلك فقد وددنا لو استعمل ابن خلدون كلمة البـدو في هـذا المقام، وهي الكلمة الصريحة فيمـا يقصده بدلاً من كلمة عرب»..

ثم يأتي الوافي بسند من أحد أعلام الفكر العربي الأستاذ: محمد جميـل بيهـم عندمـا كتب معلقـاً علـى رأي ابن خلدون حـول كلمة عرب: «لقد كان ابن خلدون جلياً في أنه كان يذم البدو دون العرب

... فترك المجال للشعوبيين لأن يتجاوزوا قصد المؤلف إلى التَّمسـك بالكلمـة دون المنـى، وإلى اتخاذهـم حجة لهـم للتنديد بالعرب والحط من شأنهم»...

وعلى طريقة وأسلوب البـاحـث الأنثروبولوجي الذي يمضي ردحاً من عمره دارساً وباحثاً ومصفياً ثم محللاً لما يردده الشارع العربي مـن كلمات ومفاهيم حـول قضاياه المصيريـة، وسلوكه الاجتماعي اليومـي، ومـا يتأتـي عنهـا مـن ظواهـر ونظـم بنائيـة، وعـرف، ومعايير... الخ..

نقـول إننا كنا نسمـع يومياً وفي أكثر من بلد عربي، عرب... عربان شرَّق العرب... غرب العرب... رحل العرب إلى البادية... السمن العربـي.. كل هـذه الكلمـات تعنى مـاكان يعنيه ابن خلـدون عن: العرب/ البدو/ العربان.

نحن عرب جواب الأمة العربية على التحديات التي تواجهها:

أردت مـن هذه التوطئة أن تكون مدخل الدراسة إلى هتاف الشعب العربـي من المحيط إلى الخليج، وخاصة في أزماته، وما يتعرض له من تهديد وعدوان إمبريالي/صهيوني: نحن عرب..

وهـذا الهتـاف الداخلي العفـوي المحروس من قبل الفكـر العربي الوحـدوي، وذروتـه فكر البدايـات، يحيلنا إلى حقيقـة تاريخية وهـي أنَّ العروبـة ساكنـة في أعمـاق هـذه الحقيقـة التاريخيـة / الحضاريـة، ودلالاتهـا تعيناتها على الأرض العربية من الخلافة إلى الدولـة الأمويـة والعباسيـة إلى دول عربيـة حديثـة لهـا أنظمتهـا السياسية التي تبدأ من الإمارة.. إلى الممالك... وتنتهي في الجمهوريات.

والتباين بـين الأنظمة العربية يجاريه تبايـن في مساحة الأرض بفعل الحدود السياسية / الثقافية التي أسسها وطبَّقها الاستعمار الأوروبـي، وعـزز مـن بعـد الإمبرياليـة العالميـة بكيـان الحركـة الصهيونية أطلقت عليه «إسرائيل»...

إذاً؛ وعـود على بدء، ما الذي.. يجعلنا نقول نحن الشعب العربي: نحن عرب، ومنذ فترات تاريخية موغلة في قدمها؟..

لأنَّ عناصـر تكويـن الشخصيـة العربيـة، كمـا تقـول النظريـة الأنثروبولوجيـة أو قل وجهات النظر الأنثربولوجية حول تكون الشخصيـات القوميـة، متوفـرة في الأمة العربية مثلها مثل سائر الأمم الحديثة.

وهـذا فحـواه ومعنـاه أن ثمَّـة مشـتركات تجمـع الشعـب العربي، وتجعلـه يقـول عن نفسـه: نحن عرب، وتبـدأ هذه المشـتركات من اللغـة العربيـة، إلى التاريـخ.. إلى الموقـع الجغـرافي، والأرض العربيـة، إلى التراث العربـي العريق الذي يضاهي تـراث أي أمة مـن الأمم الحديثـة الذ يشكل وحـدة جدلية مـع التاريخ العربي، ويتموضـع علىشـكل آثـار ضاربـة في أعمـاق التاريـخ والحضـارة الإنسانيـة، وعلى شكل أحداث ووقائـع كبرى تحدثك عنها ثقافة الحـوار العربـي التـي لم تتوقـف طـوال التاريـخ العربـي، وإنمـا عاشـت وعايشت هموم العروبة الكبرى التي تبـدأ بالكلمة الحرة المعـبرة عن إنسانية الإنسان العربي، والعد الاجتماعي والدستور، والحريـة، والديمقراطيـة، والعقـد الاجتماعي، والـرأي، والراي الآخر، وحقوق الإنسان، والمواطنة.. الخ.

وإذا أراد: زد مـن النـاس أن يأخـذ مـن التنـوع القائـم في الحيـاة العربيـة حجـة ودعـوة لمناهضـة العروبة،والقـول بالتعدديـة الإثنيـة التـي تحيـل الأمـة العربيـة إلى أمم فتخـبره الأرض العربيـة أن هـذا التنـوع يشكل إضافـة لتاريخ تَكَـوُّن ونشأة الأمة العربيـة، فالتنوع في حقائقه الثقافية / الاجتماعية يشكل عامل إغناء للأمة العربية، شأنها في ذلك شأن الأمم الأخرى.

وأحـد أهم هـذه التَّنوعات أن عبقرية المـكان هيأت الوطن العربي لأن يكـون الحاضنـة الـذي عاشـت وترعرعـت فيـه الديانـات السماوية الثلاث التوحيدية: اليهودية،والنصرانية، والإسلام..

ومامـن شـك أن ظهـور وبـزوغ هـذه الديانـات يؤشر علـى أن كلمة اختيـار الأرض العربية له علاقة جدلية مع عبقرية المكان وهذا معناه أن هناك عدة تجليات لهذا الاختيار، وسيكون له دوره الذي تمارسه الأمة العربية جنباً إلى جنب مع الأمم الأخرى.

وأزعم أنَّ هذا الاختيار السماوي للأرض العربية كان بمثابة المهمة الحضارية التي كلفت بها الأمة العربية غداة ظهور الإسلام..

إضافة لتلـك الدلائل فكلمة / مصطلح: نحن عرب وليدة إحساس مشـترك بالانتمـاء إلى هويـة واحـدة اسمهـا العروبـة، بوصفها ثقافـة موضوعية وروحية، وصنوف من الإبـداع مسَّت كل جوانب الحيـاة العربية قديمها وحديثها مـن أدب، وعلم، وفكر، وحضارة، حتـى إذا قلـت: الثقافة العربيـة، أجابتك على الفـور: العروبة، والأمَّة العربية.

نحن عرب: هتاف داخلي، أو قل مينولوج جواني للوحدة والتَّقدم، والقُـوَّة، والاعتزاز العالي بالعروبة بوصفها المدخل والمؤشر، إلى حقيقتنـا القوميـة العربيـة، والنُّهوض النضـالي بهـذه الحقيقة حتـى تتحـول بدورهـا إلى أهـداف كـبرى في الوحـدة، والحرية، والعدل الاجتماعي تتزين بها ثقافة الحوار في الوطن العربي..

وهـذه الأهداف كمـا يقول الفكـر القومي طريف الأمـة العربية، لتضـع إنسانيتها العربية بين الحقائق الإنسانية الخالدة، من أجل أن تتصافـق معها حاملـة رسالتها الجديدة، التي تسفر بدورها عن إنسانية العروبة، لأنَّ هذه الرسالة بلاغ الأمة العربية للإنسانية.

نحـن عـرب تاريخ وذكريـات أمـة عربيـة، ومشاعـر عربية حية سمعناهـا في الأحـداث الكـبرى.. في المظاهـرات ضـد العـدوان علـى الأمـة العربيـة في أي قطـر مـن أقطارهـا... ووجدناهـا في

قلب مواجهة التحديات التي تتعرض لها الأُمَّة في مسيرة نهضتها وتقدمها، والظفر بمستقبلها العربي القوي الموحد.

نحن عرب شعور قومي شعبي بامتياز يحضر في كل لحظة داخل الذات العربية بقوة التوحد بين الشعب العربي وقضاياه المصيرية، وأحد مستويات التعبير المتيقظ عن الوجدان العربي الذي يشكل سكناً للأحلام والهموم العربية.

نحن عرب إذا سمعتها تسمع نبضها بقوة داخل الشخصية العربية، كلما تعرضت الأمة لعدوان خارجي في المشرق والمغرب.

إذاً؛ هي قوة تحريض دائمة للإنسان العربي تُبلغه بأن أحد أهم شرعياته التاريخية، كما يقول الفكر القومي أنه كلما ارتقى نضاله الوحدوي، وأخذ مشروعيته القومية، كلما ارتقت وحدة نضاله العربي، واقتربت من أهدافها القومية.

وفي التحريض إياه: نحن عربن دعوة للشعب العربي أن ينظر إلى قضاياه المحلية والوطنية بعين عربية ثم عد إلى لحظة العدوان الثلاثي على مصر... والعدوان على بنزرت في تونس... وعد إلى ثورة الجزائر واسألها عن المتطوعين العرب، ناهيك عن المال الذي قدمه الشعب العربي لها..

ولا تنسى أبداً المشاهد القومية التي تمثَّلت في مناهضة حلف بغداد، ومن في معيته من أحلاف صاغتها الإمبريالية العالمية للقضاء على اليقظة العربية الجديدة..

وتخبرك الوحدة السورية المصرية كيف تحولها من الحلم إلى الحقيقة تُبشر بوحدة عربية كبرى قادمة.

وفي الحراك الشعبي الذي ملأ الشارع العربي من ثورة الجزائر إلى فلسطين عربية كان صوت الشعب العربي يهتف: نحن عرب...

وأثبتت الأحداث والوقائع أنَّ الحرية التي يريد الشعب العربي بلوغها والظفر بها لا يمكن أن يحققها أحد الأقطار العربية بمفرده وبمعزل عن الأقطار العربية الأخرى..

إنّ الحرية لن تتحقق للشعب العربي بكل حقائقها الكبرى إلاَّ إذا كانت تقاد فعلاً بنضال الوحدة العربية.

ولعمري فإنَّ هتاف الأمة العربية الداخلي: نحن عرب في مشواره الطويل من الأمس إلى اليوم نزاع إلى النضج والتوحيد والتكامل.

نحن عرب تعبر عن حقيقة عربية خالدة في حياة الأمة العربية، وهي أن يقظتها القومية الإنسانية اقترنت برسالة دينية هي الإسلام، الذي كان بدوره كما يقول الفكر القومي.. فكر البدايات أقوى مفصح عن هذه اليقظة الأمر الذي ربطه بحياة العرب المطلقة، فأخذت العروبة دورها كجسم قوى البنيان روحه الإسلام.

نحن عرب بغ الأجيال العربية الجديدة أن أي دعوة للفصل بين العروبة والإسلام تحت ذريعة العلمانية والتقدم، ماهو في التحليل الأخير إلاَّ استجابة جاهلة للإمبريالية العالمية في عدوانها المستمر على الأمة العربية.

إذاً؛ نحن عرب تأخذ دورها ووظيفتها بوصفها قوى ربط مصيري بين العرب ورسالتها الخالدة، وضمانة مسيرتهم نحو النهضة..

ويسأل سائل ومشكك هل العروبة: جنس أو إثنية، وتجيبه بأنَّها ثقافة بامتياز... إنها اللسان... بقوة اللسان العربي جيش إنَّ النظريات ووجهات النظر القائلة بالعرق النقي صارت من الماضي – وليس من حاضر التاريخ ومستقبله...

والحق مادام العرب يقولون: نحن عرب فلا خوف عليهم من بلوغ وحدتهم، والظفر بمستقبل عربي وحدوي قوي وإنساني، ولا تخيفهم تلك الحركات التي تريد الاستئثار بالإسلام، وهو الذي مثَّل الحركة العربية الأولى في التاريخ العربي فكان معناه: تجدد العروبة وتكاملها، وخلق إنسانية عربية.

ياشباب العرب – المعنى الثقافي – حناجر أجدادكم ومن كل الملل والنحل هتفت بهذه الكلمة الشعار: نحن عرب. وكانت أشبه بالمعجزة التي حركت الشعب العربي من المحيط إلى الخليج إثر كل عدوان،وغداة كل نصر.. نحن عرب.. جواب الشعب العربي على تحدياته. فهل يعيد الشعب العربي إنتاج وعيه بهذه الكلمة الهتاف: نحن عرب؟..

سألت صديقي ألا تعتقد معي أن العروبة برهان العرب على وجودهم، واستمرارهم، أمة عربية لها تطلعاتها المشروعة، فهل نسمح: نحن عرب للشعوبية الجديدة أن تنتزع منا هذا البرهان.

نحن عرب هتاف اللغة العربية للأجيال العربية بأن العروبة شرعيتهم التاريخية، واستمرارهم في معركة المصير العربي..

اللغـــة والثقـــافة

• عيد الدرويش

بين اللغة والثقافة علاقة تداخل وتشابك، تأخذ سجالاً فكرياً واسعاً، حين يتولد عنهما الكثير من المعايير التي تسهم في إغناء بعضهما البعض، فاللغة نتاج وتطور فكري للإنسان، وبها يتحدد نمط تفكيره ومستوى حياته، وإن تعدد اللغات يزيد من أنماط التفكير الإنساني، ومنها سيتولد الكثير من تلك الصور والأنماط، مما يشكل تنوعاً معرفياً كبيراً لما ندعوه بالثقافة، والثقافة لا تقف عند حد اللغة فحسب، بل تتعداها لتفضي أمام اللغة مساحة واسعة لاستنباط الدلالات والرموز التي تغني اللغة، الجوانب التي تقاطع فيها مفهوم اللغة مع مفهوم الثقافة كثيرة ومتشعبة ومتداخلة، وحالات التداخل هي الممرات والقنوات التي تظهر فيها اسهامات اللغة في الثقافة وتطورها، فعندما يخرج مصطلح ما في اللغة، فللثقافة دور في ودلالات ذلك المصطلح ومعانيها، وتتحدد فيها معايير الثقافة وفضائها لتختزل في ذلك المفهوم أو المصطلح، فاللغة يمكن اعتبارها ثقافة مكثفة، ولا يقتصر مفهوم اللغة على ما هو مكتوب فحسب، بل على ما هو منطوق، وإن كان ذلك لا يشكل قاعدة، مما يدفعنا للقول إن اللغة والثقافة ولدتا من رحم التفكير الإنساني.

إن الواقع لا يتغير بمحض إرادته - إذا استثنينا نواميس الطبيعة- بل تغير بفعل تفكير الإنسان ونتاجه المعرفي والمادي، وهذا التغير الذي نشأ أولاً من الحالة الإبداعية، ومنها أنتجت اللغة عبر الأصوات، فكل صوت في تراتبيته هو لغة بأي حال من الأحوال، ولم تعد اللغة تقتصر على الأصوات في مرحلة تالية من التطور، فأبدع الانسان الكتابة التي جاءت بديلاً عن الأصوات، ونقلها إلى الآخرين، وحفظت ما للإنسان من أثر في كل زمان ومكان، وترافق ذلك مع ابداع مكثف للصورة واللون ، هي اللغة الأخرى غير المنطوقة في تعبيرنفسي ووجداني راق عبّر عنه الانسان في تجلياته ،كما هو الرمز في الرياضيات والفن التشكيلي والمسرح والموسيقا، فاللغة محاكاة الواقع أولاً، ومن ثم الواقع ثانياً.

إن زيادة الثراء اللغوي ومفاهيمه نتج عنه تطور فكري أسهم إلى حد كبير في رسم معالم التقدم والتطور في حياة الأفراد والشعوب، فالفكر أسبق من الثقافة، واللغة وليدة الفكر، والثقافة هي منبع المفردات، منطوقة ومكتوبة ومرموزة وشكلاً وصوراً، فكلما كنا أغنياء في ثقافتنا الفكرية نكون أكثر غنى في ثقافتنا المادية، وهذا ما يجب أن يكون، وإلا ما فائدة هذه الثقافة إن لم تنتج ثقافة مادية ، لكي تستمر في الحياة ، وتساهم في التطور الانساني، فالكثير من المجتمعات التي تحمل ثقافة ولغة، ولكنها لا تحمل في ثنايا حياتها حضارة حقيقية، وهذا هو حال العديد من الشعوب الأفريقية على سبيل المثال لا الحصر.

لقد تعددت تعاريف الثقافة ، وكانت متقاربة وأكثرها دلالة ما أشار إليه عالم الاجتماع "تايلور" بقوله في تعريف الثقافة "هي الكل المركب من العادات والتقاليد وجميع المعارف والفنون والآداب والقانون، وكل العادات المكتسبة من قبل الإنسان بصفته عضواً في هذا المجتمع"، كما جاء تعريفها في المعجم الفلسفي المختصر" هي مجمل ألوان النشاط التحويري للإنسان والمجتمع".

أما تعاريف اللغة، فهي أيضاً متعددة ، ومنها ما يعبر عنه ابن جني بقوله "اللغة مجموعة من الأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" وفي تعريف آخر يرى البعض بأن "اللغة هي الجسر الذي يربط أجيال المجتمع عبر القرون"، فلا يمكن معرفة تاريخ وثقافة شعب إلا من خلال لغته، واللغة هي الوعاء الفكري الذي يضم تاريخ وحضارة وإبداع وثقافة تلك الأمة، ويرى عالم اللسانيات "انطوان مييه" في كتابة (لغات العالم) يقول "إن كلمة لغة تعني جهازاً متكاملاً من وسائل التفاهم بالنطق المستعملة من قبل مجموعة بعينها من بني الإنسان بصرف النظر عن الكثرة العددية، أو المجموعة البشرية أو قيمتها من الناحية الحضارية".

أما عالم اللسانيات "دوسوسير" فيشير للعلاقة بين الثقافة واللغة من خلال التعريف التالي"إن علم اللغة يرتبط بقوة بالعلوم الأخرى، ويستعير من معطياتها أحياناً، كما يزودها بالمعطيات أحياناً أخرى".

الثقافة لا تتطور بدون تطور فكري، وهذا التطور الفكري لا يتم إلا من خلال تمازج تلك الثقافات، والإطلاع على الإبداع والإنتاج من جديد لعناصر أولية كانت هي الأخرى ذات نتاج معرفي، واللغة محتواة في طوايا الثقافة، وتشكل عنصراً أساسياً في تكوين المعرفة والبراهين والصناعات، ممزوجة بالأساطير التي رأى فيها الإنسان أمنه وحمايته، أو ربما بأساليب تكيفه مع البيئة وكان ذلك كله من صناعة إنسانية، فالإنسان هو وحدة الذي له لغة وثقافة بآن واحد دون سواه من الكائنات والمخلوقات على وجه الأرض.

إن التباين باللغات يفرض علينا تنوعاً من الثقافات وآليات التفكير، فالشعوب التي تعيش في الصحراء تختلف عن الشعوب التي تعيش على الشواطئ أو في الغابات، ولكل منهما خصائصه وسماته، ولكن مع تطور المجتمعات ووسائل الاتصال كما هو في حالنا اليوم، لم يعد ممكنا أن تبقى هذه المجتمعات منعزلة عن المجتمعات الأخرى، فإن لم تندمج معها فستبقى منغلقة، ولا بد أن تتأثر مهما كانت درجة الانغلاق، وما دامت تلك الثقافات واللغات بينها قواسم مشتركة بين الثقافة واللغة، ألا وهي الرمزية التي يعبر عن صيرورة الانسان وسجاياه ، كما هي سجايا الأمم والحضارات، وكلما ازدادت الرمزية تقاربت الثقافات، وهذا الترميز هو مفردات وتعبيرات مركبة تستخدم في سياقات خاصة كما في علوم الرياضيات، وفي مساحات أخرى نرى أن الفن التشكيلي هو لغة خاصة عالمية لكل بني البشر،ولا تتدخل فيها اللغة المنطوقة، إلا من خلال الاستدلال والاستنتاج أو قراءتها، وتحميلها تلك المضامين لتلك الثقافات ما نسميه لغة مرموزة من نوع خاص، وإن من السمات المشتركة بين اللغة والثقافة في جانبها المعرفي هي البنية الفوقية، فعندما تسهم اللغة في إغناء التراث الفكري لهذا المجتمع يبدأ في التوسع في القاعدة المادية، ويتطور المجتمع، وتتحدد تأثيرات البنية التحتية والفوقية من خلال اللغة والثقافة، وسيولدان الحضارة المدنية، ولكن يبدو السؤال واضحاً لماذا تسعى الشعوب لأن توحد ثقافتها، ولكنها لا تعمل على توحيد لغتها؟ وماذا ينتج لو توحدت الثقافات؟ وما هو مصير اللغات ؟ وهل تتوحد الثقافات بتوحد اللغات؟

إن حالة الثقافة واللغة كحالة الأخرس، فالذي لا يفهم على لغات الآخرين، فهو يشابه الأخرس الذي يعتمد على لغة الإشارات، ولكنه لا يستطيع أن يتمعن في المعاني وهذا ما يميز عن ذلك الذي ينطق ويسمع، وإذا استطعنا أن نحدد ساعة الميلاد للغة والثقافة، فهل نستطيع أن نتكهن بموت أحدهما، ومن هو قبل الآخر في الزوال؟.

الرحم الثالث
(لغتنا العربية والقصة)..

• أيمن الحسن

ولد من رحم أمِّه.
نزل إلى رحم الوطن.
يستمع إلى لغة والديه، فتكونت الكلمات الاولى في فمه، لتخرج بسيطة متعثرة. لكنها غالية على القلب، ودافئة عذبة على الأسماع: ماما، بابا، وأكمل بعدما أنصت إلى أحاديث قومه من حوله: وطني علمي
حرية قومية...
كما تقول أغنية المطرب المصري محمد فوزي بعد أن تعدِّد حروف اللغة الثمانية والعشرين ممسوقة مرتبة حسب التسلسل الأبجدي:
أ ب ت ث ج ح خ...
حروفاً حفظتها عن ظهر قلب من خلال هذه الأغنية التي ذاعت كثيراً أيام طفولتي المبكرة.
بعد سنوات جاء إلى مقاعد الدراسة، حيث القراءة والكتابة، ليولد في رحم ثالث، نسميه اللغة الأم، يعيش وسط أحضانها الرؤوم، كي تولد فيه، تعيش به ومعه مدى العمر مشكلة طريقة تفكيره بدءاً من المنزل حيث الأسرة: الأم، الأب، الجد، الجدة... إلى مرحلة المدرسة فنتعلم بها أصول الدين، التاريخ، الجغرافيا، العلوم والحساب حتى الرسم والموسيقا، وصولاً إلى مرحلة النضج والتألق بالذات الفردية والمجتمعية مفتخرين بالانتماء إلى هذا الوطن الأعز الأغر الأغلى سورية وإلى « خير أمة أخرجت للناس...» الأمة العربية.
ما أمتعها رحلةً من رحم الأم، فرحم الوطن، ثم إلى رحم اللغة الأم، نعيش فيه طوال حياتنا: فهل نحن عرب لأننا نتحدث العربية؟ أم هي اللغة العربية لأنها لغتنا نحن العرب؟
اللغة عامةً أداة تفكير بالدرجة الأولى، وتواصل تنقل الانفعالات والأحاسيس، وهي وسيلة إبداع للأدب والفنون والعلوم، أداة الحفاظ على الثقافة وحاملة الهوية، لولاها ما تطورت حياة الإنسان، ولا استطاع حفظ خبراته الحضارية وطورها.
ولغتنا العربية نتعارف من خلالها، تسيِّر عقولنا، بها نتفاهم أو نتخاصم «لكن بود ومحبة» نعمل، نعشق، ونتزوج، ثم ننجب لنوِّرثها لأبنائنا، كما نورِّثهم الحقلة والبيت، مواهبنا ووجداناتنا، لونَ العينين، شعرنا الفاحم، وأحلامَنا المؤجلةَ نحققها بهم...
إنها أداة الطموح والآمال العريضة، تملأ أيامنا القادمة بحلم مستقبل زاهر غداً، نفخر بها، وتفخر بنا من خلال عطاءاتنا في مجالات الأدب والعلم، ومناحي الحياة الأخرى.
لغة نحس حقيقة أنها « إذا وقعت على أسماعنا
كانت لنا برداً على الأكباد»
واسألوا من عاش في الغربة بعيداً عن وطنه ولغته الأم: كيف يسرع متلهفاً إذا سمع من ينطق لفظة بالعربية هناك...
الإنسان مخلوق مع لغته، وخالق لها إنها الوطن الروحي للناطقين بها، فكفاها فخراً وصفها باللغة الأم، وكلُّنا نعرف مكانة الأم في حياتنا ومعتقداتنا...
وللحقيقة المعيشة التي نعرفها جميعاً: تبقى المادة الأدبية التي درسناها خلال مراحل التعليم المختلفة محفوظةً في أذهاننا بينما ننسى المواد الدرسية الأخرى عادة.

لغة الأدب

الأدب دلالة إيحائية، تكونه اللغة وصولاً إلى مستوى تعبير آخر عن رسالة ما، المدلول فيها مختلف عن المدلول اللغوي المباشر. وهنا يفضل بارت تعبير البلاغة ـــ كما في لغتنا العربية – على كلمتي الشعرية عند جاكبسون، والأدبية عند المدرسة الشكلانية الروسية.
إذن قضية الأدب تدور في حقل واحد هو اللغة، إنها كينونة الأدب وعالمه الفاتن. وليست اللغة مجرد ديكور لواقع اجتماعي، عاطفي، شاعري، لأن الأدب كله متضمن في فعل الكتابة، وليس في التفكير، أو الشعور، أو الرسم...
هذا ما قاله رولان بارت في كتابه هسهسة اللغة. وأضاف: هناك عنصر خاص في أي نص أدبي هو لغته. ويعني الاشتغال على اللغة حسب المصطلح المتعارف عليه.
تحضرني أيام دراستنا حين تعلمنا اللغة العربية (قواعدها، نحوها، آدابها...) على أيدي مدرسين أكفاء، بذلوا جهوداً مضنية من أجل تقويم لغتنا وإصلاح عثرات لساننا الغض الطري. فكان المدرس يعطينا موضوع تعبير، لنكتبه وظيفة بيتية. ثم ينتقي طالباً، كي يقرأ أمام الصف على أن نسجل ملاحظاتنا حول ما نسمعه. وبعد انتهاء الإلقاء تبدأ المناقشة المستفيضة، ويسعى كل واحد منا لإبداء رأيه، متسابقين في الخروج للقراءة. ويا خيبة من لا يوافيه الحظ، إذ يخرج إلى الباحة منزعجاً، وقد يبكي بحرقة...
كانت أكثر نقاشاتنا حول الفصحى والعامية: فما رأيكم بكلمة» بس» يزجر بها الرجل ابنه مانعاً إياه من المضي في حديث أو فعل لا يروقه...
قال الشاعر:
أنا يا سعاد بحبل ودك راغب
لم أنس ذكرك في الصباح وفي الغلسْ
أنيتُ قالت: كم تئن أجبتها
هذا أنين مفارقٍ بالموت حسْ
قالت: فما يشفيك؟ قلت لها اللقا
قالت: أزيدك بالوصال. فقلت بسْ
فتلفتت عجباً. وقالت: لن ترى
وصلي. فذاك أمر من أخذ النفس
قرأتْ سعاد بضد ما أقرأ أنا
أقرأ: ألم نشرح. فتقرأ لي: عبسْ
أظن هذه الأبيات لوضاح اليمن إن لم تخني الذاكرة.
وجاء في معجم أقرب الموارد للشرتوني: بس الإبل بساً أي ساقها سوقاً ليناً وزجرها بقوله: بِس بِس. وعليه فنحن نفتح باء هذه الكلمة الفصيحة في حين أن المعجم يكسرها...
وهنا أنوه بدور المعلمين في تحبيبنا بلغتنا العربية، وتذوقها مثلما نتذوق شهد العسل، أو نطرب لمقطوعة موسيقية رائعة. ولا أنسى دور الأسرة في البيت، هذا الدور المؤسس والمهم جداً، وعلى سبيل المثال: فكثيراً ما تطلب مني فينوس أن أحضر لها كتباً جديدة بعدما قرأت ما عندها: » ولا تنس مجلة أسامة يا بابا» ومنذ مدة اتفقت معي أن نتحادث بالعربية الفصحى!
-كما لا يفوتني التذكير بأن الأمم المتقدمة تجلُّ مدرسيها إجلال قادتها الكبار....
يحكى أن المهندسين في اليابان اعترضوا لأن أجورهم أقل من أجور المعلمين. فكان أن جمعهم مسؤول كبير ليسألهم:
- هل تقبلون أن تكون أجوركم أعلى من أجور المعلمين الذين درسوكم؟
فسحب المهندسون اعتراضهم.
اللغة العربية والقصة
يقول أديبنا الكبير سليمان العيسى: » لكي يحب الأطفال لغتهم، يحبوا وطنهم، يحبوا الناس، الزهر، الربيع والحياة، علموهم الأناشيد الحلوة، اكتبوا لهم شعراً جميلاً.»
وقياساً عليه أكمل: علموهم فن القص الجميل، الفوا لهم قصصاً ممتعة على ألسنة الطير والحيوان والإنسان...
يأتي القاص إلى عالم مليء باللغة، وعليه انتزاع جملة صحيحة، أو لفظة ما للتعبير عن عواطفه ومشاعره، وليس كما يُعتقَد سابقاً أن عليه مثل القديسين العظماء أن ينتزع الكلمات من الصمت.
إذن العنصر الخاص في أي نص هو لغته. وعليه يكون الأدب كله صناعة، فماذا أقول عن القصة؟
هي لذة القول في بلاغة، أعجن كلمات قصتي بماء الخزامى ،حتى تتخمر الفكرة المبهرة مع رشة تخيُّل مجنح، لأقدمها للقارئ: وجبة طازجة من حدث ألق، حبكة سلسة بلا تفريط أو فائض تعبير.
سمع الجاحظ قوماً يقولون:
البلاغة في الإيجاز.
فاستنكر ذلك مصححاً:
البلاغة الإيجاز.
في الأدب عموماً لا يمكننا إلغاء علاقة الكلمة بالشيء الذي تدلُّ عليه كذلك علاقة المفردات ببعضها في الجملة الواحدة. وعلينا نحن القاصين تقديم قصص ممتعة تشدُّ القراء إلى لغتنا الجميلة، وإلا وقعنا في التقصير، ووقع اللوم علينا، فلا تُحضر أمسياتنا في المراكز الثقافية، ولا يُقرأ ما نكتب...
آخذ تطبيقاً من كتاب حديث بعنوان كوكتيل(قطوف من شجرة الحياة):
" كان قادراً على الإمساك بيد صديقه لإنقاذه من الغرق. لكنه حين شاهد موجة عالية تقترب منه كجناح عاصفة عاتية، وهو على شاطئ البحر، تردد. غرق صديقه. وعندما سئل: لماذا لم يسعف صديقه؟ وهو يصرخ مناشداً إياه، كي يمدَّ إليه يد العون أجاب: لم أسمع نداءه.
ونسي أن عينيه كانتا مفتحتين لحظة وقوع المأساة. وبالتالي كان يرى المشهد أمامه بوضوح".
والآن نعاين استخدام كلمات لغتنا العربية استخداماً صحيحاً وبليغاً في النص السابق. فالإمساك باليد يكون عندما يسير اثنان على الطريق، أو يجلسان إلى طاولة محبة وإلفة في مقهى عائلي. أما الحالة المعروضة" غريق" فالإنقاذ لا يكون بالإمساك باليد لأنه قد يغرق الاثنين معاً. وعليه يمكن اختصار الجملة الاولى لتصبح: "كان قادراً على إنقاذه".
نكمل: " لكن حين شاهد موجة عالية تقترب منه كجناح عاصفة عاتية وهو على شاطئ البحر تردد غرق صديقه".
لإبقاء الجملة حركية بالمطلق يمكن حذف الظرف حين حتى لا تنحرف الجملة عن فعليتها.
جملة وهو على شاطئ البحر فائضة لأنها تسفح زمناً غير موجود فعلاً بين رؤية الموجة العاتية والتردد، فبمجرد رؤية الصديق للموجة العاتية تردد. ولا حاجة للفظة جناح التي توحي بصفة الطيران للعاصفة التي تقلع، تشلع، تدمر وتخرب كما نعلم... إذن كي نبقي على حالة الشد باستمرارية الأفعال لا سيما والقصة تعتمد على الحدث" الفعل" مع استخدام الفاء، لأنه بسبب العاصفة العاتية تردد. تصبح الفقرة السابقة: لكنه شاهد موجة عالية تقترب منه كعاصفة عاتية فتردد.
نتابع: " وعندما سئل لماذا لم يسعف صديقه" والأفضل القول: " لماذا لم ينقذ صديقه من الموت" لتعميق الحالة.
لكن لماذا فعل سئل؟ المبني للمجهول وهذا يضعف المعنى فكلما كان السائل مجسداً ومعروفاً كان التأنيب أشد وطأة فيمكن القول: سأله أصدقاؤه. (والأكثر تأثيراً في النفس أن يكون ساءل نفسه. وهنا نأخذ للمقارنة مسرحية أوديب ملكاً الذي اعترف على نفسه. فكان أن فقأ عينيه، ومشى أعمى بين الناس.)
إضافة إلى أن الجملة الأخيرة" وبالتالي كان يرى المشهد أمامه بوضوح" لا ضرورة لها لأنه بمجرد أن يقر بأنه كان مفتح العينين فقد شاهد الذي حصل. وتصبح القصة: (كان قادراً على إنقاذه. لكنه شاهد موجة عالية، تقترب منه كعاصفة عاتية، فتردد. وعندما سأله أصدقاؤه: " لماذا لم تنقذ صديقك من الموت، وهو يستغيث أن تمد له يد العون؟ نفث في وجوههم: " لم أسمعه" مع أن عينيه كانتا متفتحتين لحظة وقوع المأساة.)
والنتيجة: إن العمل الأساسي على صناعة الكتابة ينبع من استخدام اللغة استخداماً صحيحاً، والتحكم بها لإعطاء المعنى بوضوح وفنية، ما يدفع القراء فيحبون قصصنا، لأنهم يستمتعون، فيزدادون حباً للغتهم العربية، وشغفاً بها.
باختصار علينا – معشر الكتاب - استخدام المحاة بلا حرج، وأن نمتلك الجرأة على إتلاف أي كتابة بلا روح، وقبل هذا وذاك أن نكتب بحب...
أقول في مقطوعة عنوانها" أدوات ضرورية":
وراء كل نص جميل.. قصة حب.
أجلس أحياناً لأكتب تعاندني الأفكار، تهرب من مسامات قلمي الكلمات المعبرة. وسرعان ما أجعلك الورقة، كأنني أنتقم منها. ثم أرميها إلى صديقتي..

الحاوية

وقد يحدث أن أسطِّر نصاً. ثم أروح أشطب وأمحو. فتبقى جملة صغيرة، وعلى الأغلب لا يبقى شيء، لأنني مؤمن بأهمية المحاة.
إذن عبر لغتنا العربية الغنية، كأنها البحر في أعماقه الدر كامن، تتبرعم الكلمات الجميلة مثلما وردة جورية: شعراً، قصة، رواية، خاطرة، أو مقالة... وعليه يكون اندماج القارئ – حين يقرأ قصتي– كأنه يقوم بنزهة في حديقة غناء تعبق بالعطر الفواح، فيتسربل بالشذى.

صلاح الدين الأيوبي بين شعراء عصره

• ماجدة البدر

في ظلِّ وطن جريحٍ، يتقاسمه الغزاةُ والمحتلون، يقطعون أوصاله، كلٌ ينالُ حصته، التي لا ترضيه، ويطمع بالمزيد والمزيد، للاستفادة من خيراته، يساعدهم في ذلك جماعات متطرفة أنشؤوها لتحقيق مصالحهم ومآربهم القذرة، وغذوها بالمال والسلاح، حتى وصلت إلى دور القوة.. انقلبت عليهم، وبات أملها الوحيد تحقيق مصالحها الخاصة، وتنفيذ مآربها القذرة، في إنشاء دولة تحت راية الإسلام الذي لا تمت إليه بأي صلة، فعملت على استغلال خيرات وطننا وأرضه، واستقطاب ذوي النفوس الضعيفة من الدول الأخرى المعادية، هؤلاء المقاتلون الذين تربوا وترعرعوا على مفاهيم دينية واجتماعية وسياسية خاطئة، قرؤوا الواقع الإسلامي من منظور مدرسيهم العملاء الذين علموهم وربوهم ودربوهم على جميع فنون القتال، وبعد أن أتقنوها أرسلوهم إلى بلدنا الحبيب يدنسون ترابه، ويعيثون في ربوعه الفساد والتفرقة..

في ظل هذه الظروف، ينبعث في نفوسنا الحنين إلى تاريخنا المجيد الغني بالبطولات والأبطال والمعارك المشرفة التي ألحقت بالأعداء الهزيمة تلو الهزيمة، ودحرتهم وأعادتهم إلى بلادهم خاليّ الوفاض، مجللين بالخزي والعار والهزيمة المنكرة..

صلاح الدين الأيوبي، صفحة من صفحات الجهاد المشرقة، بطلٌ تولى قيادة الجيوش العربية بعد وفاة عمه أسد الدين شيركوه ولقب بالملك الناصر..

تولى صلاح الدين قيادة الجيش في عهد سادت فيه الفتن والمنازعات الداخلية، والصراع على السلطة، ورأى في حب الجماهير وتحقيق آمالهم، وكسب ولاء الجيش وطاعته وخضوعه الطريق الوحيد لتوحيد بلاده، فاستطاع أن يكسب القلوب وأن يلفت الأنظار إلى شجاعته النادرة، وعدله وحسن تدبيره.. إذ جعل جلّ آماله أن يوحد مصر وبلاد الشام، لأنَّ في الوحدة قوة.. فالعدل والأمن والاستقرار هما أساس لإنشاء حكم قوي، ودولة عظيمة، فهب يحبّب الناس بالجهاد، ويذكّرهم بثوابه، وبفضله، ويحثّهم عليه مستشهداً بالآيات الواردة في القرآن الكريم، ومنها: (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ) الأنفال٦٠ .

فأسرع ذوو العقل والتفكير السديد للانضواء تحت لوائه، فأنشأ جيشاً قوياً عظيماً، يسوده الحب والاحترام والولاء لقائده العظيم، والقتال تحت رايته حتى النصر أو الشهادة..

رأى الشعراء في جيش صلاح الدين وقائده العظيم السبيل الوحيد لتخليص البلاد من ظلم الفرنجة وقسوة أمرائها فبدؤوا بتحريضه على قتالهم بشعرهم، يقول العماد الكاتب في قصيدة طويلة منها:

يا مُخْجِلَ البحرَ بالأيادي
قد آنَ أن تفتح السواحل
فقدّس القُدْسَ من خباث
أرجاس كُفْرٍ غُثْم أراذل

يريد الشاعر في هذه اللامية الرائعة أن يحرض صلاح الدين القائد الشجاع على التوجه بجيشه العرمرم إلى الساحل ويخلص القدس من رجس الفرنجة، كما نعتهم في قصيدته هذه.. على الرغم من أن الفرنجة يدينون بدين المسيح عليه السلام، ولكن يبدو بأنهم لا يمتون إلى هذا الدين أيضاً بأي صلة، فحجتهم لاحتلال بيت المقدس وهي حماية المقدسات، هي حجة واهية، والغرض الحقيقي هو احتلال واستعمار القدس واستغلال خيراته.

يقول العماد الكاتب في قصيدة أخرى:

فسِرْ وافتح القدس واسفك به
دماءً متى تُجْرِها يَنْظُفِ
وخَلِّص من الكُفْرِ تلكَ البلادِ
د يُخَلِّصُكَ اللهُ في الموقفِ

فتخليص القدس من الفرنجة أمرٌ جلل، يثيبه الله عليه يوم الجزاء العظيم. ولقد استجاب صلاح الدين لذلك.. وسار بجيشه وبدأ بتحرير المدن العربية من احتلال الفرنجة، حتى وصل إلى حطين، والتقى جيوش الفرنجة القوية المدرعة التي أنفقت أوربا وعظماء ملوكها المال الكثير لتجهيزها بالعدة والعتاد، فهو جيشٌ لا يقهر، واستطاع صلاح الدين بقوة جيشه وإيمانه بالنصر وحصافة رأيه أن يلحق بهم هزيمة نكراء.. مضوا على إثرها إلى بلادهم بين قتيل وجريح، ومضى يتابع انتصاراته، فاستقبلته المدن العربية الجريحة المستعبدة استقبال الفاتح المكلل بالغار، فتحت له أسوارها، واستقبلت جيشه استقبالاً مشرفاً مثنية على انتصاراته، مرحبة به أشدَّ الترحيب..

كان صلاح الدين فاتحاً رحيماً، على النقيض تماماً من وحشية الفرنجة وقسوة أمرائها.. فلقد أصلح ما تخرب من المدينة، ورمم ما تهدم من مساجدها وكنائسها ومدارسها، وحكم المدينة بالعقل والحكمة والعدل والحرية، كان انتصاره في حطين مثار تقدير وإعجاب الشعراء، فشرعوا ينظمون أروع القصائد مخلدين فيه هذا المجد..

فهاهو الشاعر أبو علي الحسن بن علي العراقي يخلد هذا الانتصار بنونية رائعة مطلعها:

يا مليكاً أضحى الزَّمانُ يُنَاجيـ
ـه بلفظ المذَلَّل المسكين
قذفَت أهلها الحصونُ إلَى بأ
سك حتَّى عَوَّضتهمُ بالسُّجون
وأراهم ربُّ السَّماءِ بأسَيَا
ـفكَ مالم يَجُلْ لهم في ظنون
يا مَليكاً يلقى الحروب بحول اللـ
ـه مستعصماً وصدق يقين
إنَّ هذا الفتح المبين شفاءٌ
لصدور، وقَرَّةٌ للعيون

يعبر الشارع عن فرحه بهذا النصر المبين، الذي أفرحه وأثلج صدر الأمة، فهذا البطل العظيم دك حصون الفرنجة، وأعمل السيف فيهم، وانتصر عليهم، وهو بهذا النصر المبين يعيد إلى أذهاننا (الفتح المبين) ومعركة عمورية التي قادها المعتصم، وخلدها الشاعر العظيم أبو تمام بقصيدة رائعة:

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ
في حَدِّه الحَدُّ بينَ الجِدِّ واللَّعِبِ
فَتْحُ الفُتوحِ تَعَالَى أَنْ يُحيطَ بِه
نَظْمٌ من الشِّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الخُطَبِ

وهذا النصر كان شفاءً لصدور المؤمنين، وهو بذلك يقتبس معنى هذا البيت من الآية الكريمة: (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ). (التوبة: ١٤).

وقد أثار هذا النصر الفرح الدفين في قلب الشاعر علي بن السَّاعاتي، فأنشأ قصيدة جاء فيها:

جَلَتْ عَزَمَاتُكَ الفتحَ المُبينا
فقد قَرَّتْ عيونُ المؤمنينا
فياللهِ كم سَرَّتْ قلوباً
وياللهِ كم أبكت عيونا
فقلب القدسُ مسرورٌ ولولا
سُطاكَ لكان مكتئباً حزينا
أدرت على الفرنج وقد تلاقَتْ
جُمُوعهم عليك رحىً طَحُونا
لقد جرَّدتَ عزماً ناصريّاً
يحدثُ عن سناهُ طورُ سينا
لقد أتعبتَ من طلب المعالي
وحاول أن يسوسَ المسلمينا
وإنْ تَكُ آخراً، وخلاكَ ذَمٌّ
فإنَّ مُحمداً في الآخرينا

يمجد الشاعر هذا النصر العظيم، ويثني عليه، فلقد قُرَّت عيون المسلمين، وبكت من شدة الفرح، لقد طحن جيشه الأعداء كما يُطحن الحَبُّ في الرَّحى، وأعاد السكينة والأمان إلى حاراتها ومساجدها وكنائسها، وذلك بعزم ناصري يتردد صداه في الآفاق حتى وصل إلى طور سيناء.. وهو مجدٌ يُتْعِبُ من يريد بلوغه ولا يضيره أن يأتي متأخراً فلقد كان الرسول العظيم خاتم الأنبياء والمرسلين..، لم يخرج الشاعر عن عباءة الشعر الجاهلي وقوانينه وقوافيه، حتى أنه استعار بعض ألفاظه (خلاك ذَمٌّ).. وهو تعبير مستخدم بكثرة في الجاهلية..

ولما وصل نبأ هذا النصر العظيم إلى شاعرنا الرائع ابن جبير الأندلسي أنشأ قصيدة عظيمة يمدح فيها هذا الشاعر ويمجد هذا النصر ويخلده ويثني على قائده ويعدد مناقبه إذ يقول:

جنودُكَ بالرُّعبِ منصورةٌ
فناجزْ متى شئتَ أو صابرِ
فكلُّهمُ غَرقٌ هالكٌ
بتيَّارِ عسكرِكَ الزَّاجرِ
وقُمْتَ بنصرِ إله الورى
فسمَّاكَ بالملكِ النَّاصرِ
تبيتُ الملوك على فرشهم
وترفُلُ في الزَّرَدِ السَّابري
وتؤثر جاهدَ عيشَ الجهاد
على طيب عيشهم النَّاضرِ
فتحت المقدسَ من أرضه
فَعَادَتْ إلى وصفها الطاهرِ
لكمْ ذَخَرَ اللهُ هذا الفُتو
ح من الزَّمَنِ الأوَّلِ الغابرِ
وخصَّكَ من بعدِ فاروقه
بهَا لاصطناعكَ في الآخرِ
محبتكم أُلْقِيَتْ في النفوس
بذكرِ لكم في الورى طائر

القصيدة إحدى روائع ابن جبير، تميزت بوضوح المعاني، وسهولة الألفاظ، صبغت بصبغة دينية، فهاهو يقتبس حديث الرسول (ص): (بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ)، يغمر النص بعاطفة الفرح بالنصر العظيم، وتمجيد لقائده، والتعبير عن الحب له (محبتكم ألقيت في النفوس) مما جعل ذكره يطير في الآفاق..

فرحة هذا النصر أعادت إلى الذاكرة الأمجاد الغابرة.. فجنود صلاح الدين نُصروا بجيش من الرعب، قبل وصولهم إلى بيت المقدس، وهو جيش عظيم، لا تلين عريكته، يقاتل بشجاعة منقطعة النظير، وبأس شديد، بين قتلى وجرحى، تقوده حكمة قائد شجاع، لا يعرف الراحة، فالملوك تخلد إلى النوم في فراشها الوثير الناعم، وهو يؤثر النوم في درع الحديد استعداداً لأي هجوم مباغت، لقد أعاد هذا البطل العظيم إلى القدس طهرها من رجس الفرنجة، فبعد الفاروق عمر، نرى صلاح الدين يتجول في أرجائها ويعيد إليها العدل والأمان والسلام الذي أكدت عليه الوثيقة العمرية، فنال بذلك حب الناس واحترامهم.. وتتالت بعد ذلك انتصاراته حتى توفي رحمه الله.

عني صلاح الدين بالثقافة والأدب، وجعل اهتمامه الأول منصباً عليها، فاستقدم العلماء من كافة الأمصار، وأجزل لهم العطاء،ووسع رزقهم، مقابل انصرافهم إلى العلم والمعرفة والدراسة للنهوض بهذه الأمة وعودتها إلى مسيرتها الأولى..

بنى صلاح الدين العديد من المدارس منها (المدرسة الناصرية، والمدرسة الصلاحية، والمدرسة المالكية، والمدرسة السيوفية في مصر)، ونسب إليه بناء المدرسة الصلاحية في دمشق، لأنه قام بترميمها وتحسينها، لقد رأى صلاح الدين في العلم وتزويد الشعب بالثقافة والفكر، هو الوسيلة الوحيدة للتقدم والازدهار، فهذا الشعب العظيم قدم للعمل حضارة خالدة، كانت مثار إعجاب العالم، ثم التفت إلى بناء المستشفيات في مصر والشام، والاهتمام بها، وتطويرها، واستقدم إليها أشهر الأطباء في عصره. ولولا هذه الحروب التي استنزفت أموال الأمة، لانصرف هذا الناصري العظيم إلى إنفاق هذا المال في العمران ونهضة البلاد..

ويذكر العماد الكاتب في الروضتين أن صلاح الدين كان يستهديه شعره ونثره، وكان يعقد المجالس للاستماع إلى ما يقوله الشعراء، ويجزل العطاء لمن أجاد منهم، حتى أنهم صاروا يتسابقون لإلقاء نتاجهم الشعري في حضرته، ومدحه وتعداد مناقبه..

كان كريماً في عطائه، يقول في كرمه الشاعر سعادة الضرير وهو من أهل حمص:

سلطانها الملك ابن أيّوبَ الذي
كفّاه لا تنفك عن هطلانها

فهو ملك من سلالة معروفة بالشجاعة والبطولة، كفه كالغيمة في عطائها الغزير..

ولقد رأى صلاح الدين في العدل الأساس لبناء دولة قوية، فأقام في دار العدل في دمشق مدة قصيرة، استطاع من خلالها أن يعيد الحقوق إلى أصحابها، فأنصف المظلومين، وأبطل الضرائب التي فرضها الولاة بعد وفاة نور الدين، لأنه رأى فيها ضرائب غير عادلة، مما أثار إعجاب الشعراء ومنهم سعادة بن عبد الله الضرير ، من حمص، فأنشأ قصيدة طويلة يمدح فيها عدله إذ يقول:

في دار عدلٍ مذْ طَلَعْتَ بأفقها
بدراً جلوتَ الظلم عن سكانها

ويكتب إليه أسامة بن منقذ يهنيه بذلك:

تهنَّ يا أطول الملوك يداً
في بسط عدلٍ وسطوة وندى

وهي صفات نادراً ما استطاع قائد عربي أن يتحلى بها (العدل، والسطوة، والكرم)، لقد استطاع هذا القائد الشجاع أن يكسب احترام الناس، وولاءهم، ومحبتهم، فجعل همه الوحيد أن يدفع الأذى عن البلاد، ويدحر أعداءها، ويوحد صفوفهم تحت راية الإسلام..

توفي صلاح الدين سنة (٥٨٩هـ/ ٤ آذار ١١٩٣)، بعد أن حقق الجزء الأكبر من آماله، وهي طرد الصليبيين من بلاد الشام.. لقد وحد العرب تحت راية الإسلام، وأنشأ جيشاً قوياً يتسم بولائه لقائده، وطاعته طاعة عمياء، فوجهوا سيوفهم إلى أعدائهم الحقيقيين، وهم الصليبيون، وليس كما نراه في عصرنا الحالي، حيث نرى تنظيماً وجيشاً قوياً يدعي راية الإسلام، وهو لا يمتُّ إليه بصلة، ولا يعرف منه غير اسمه، فيوجه سلاحه وبنادقه ودباباته ورشاشاته وسكاكينه إلى إخوته من المسلمين، فيعمل السيف برقابهم، ويحتلّ ديارهم، ويطردهم منها، وينهب خيراتهم، ويغير على مصادر رزقهم، ويبيع نفطهم للأعداء بثمن بخس، ويرضي حاخاماتهم، الذين يقفون وراء مصادر تمويله، وتسليحه، معلناً قيام دولة عبرية تحت راية عربية مسلمة، دولة تدين بالولاء لإسرائيل المخضبة بدماء أطفالنا وشبابنا ونسائنا وشيوخنا، ربيبة الغرب، ويتركهم يعيثون الفساد ويدنسون مقدساتنا في بيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين..

لقد استغلَّ الغرب جهلنا بحقيقة ديننا ومبادئه السمحة، لينشئ جيشاً من العملاء المرتزقة، يهدم حضارتنا، ويعيدنا إلى عصر الجاهلية....

العروبة ولغتها المجيدة في شعر الشاعر أمين نخلة (١٩٠١ ـ ١٩٧٦م)

• أحمد سعيد هواش

لبنان.. الخضرة والجمال والماء الرقراق والأطيار المغردة على الأشجار الخضراء، فيشاركها الشعراء الغناء، كما عبر عن ذلك الشاعر أمين نخلة عندما قال:

على السفح من لبنان ، والسهل والرُّبى
رياضٌ وظلٌ سايغٌ، وحيا مزنِ
كأن سلمت من لون عدْنٍ بقيةٌ
وعاشت بلبنان على الماء والغصن

وعند التقاء الطبيعة الخلابة مع الشاعرية الموهوبة يكون الشعر الجميل العذب الذي يدخل القلب دون استئذان فيطرب السمع وينعش القلب فتتجاوب خلجاته مع الشعر الأصيل الذي نسمعه من الشاعر أمين نخلة وهو يسعى حثيثاً للتصالح مع قيمه الفنية الأصيلة، ويعبر عن طموحات الأمة وتطلعها نحو المستقبل؛ فهو كما وصف شعر الشاعر الكبير الأخطل الصغير بقصيدته التي ألقاها في حفل تكريمه ببيروت سنة ١٩٦١م عندما قال:

قد أبى الله في الفصاحة أن يغـ
ـدو منا في العالمين أخير
يأنف السفح والغمائم والدو
حُ، وظلٌ فصيحٌ وغدير

وصوت الشاعر أمين نخلة صوت عال من أصوات العروبة المدافعين عن اللغة العربية الفصحى وإرثها الحضاري، ناهلاً من القرآن الكريم وتراث الأمة العربية المعطاء، فلنسمعه وهو ينشد في المهرجان الشعري لذكرى أبي تمام في دمشق قصيدته في ذكرى «حبيب» عام ١٩٦١م[١]:

نحن في الفصحى رعينا ذمما
وشرعنا دونها سمْر القنا
فكان العزُّ من قرآنها
لم يكن إلا إلينا، أو بنا
فانظروا في فُصح القول عسى
أن تروا قرآنكم قرآننا
شعراء الضاد: هذي «جلقٌ»
من هنا ظلُّ، دماءُ من هنا

وهاهو يرفع صوت العروبة عالياً في قصيدته «صوت لبنان» التي ألقاها في مهرجان الشعر في الإسكندرية سنة ١٩٦٢م مندوباً عن لبنان، فكان صوته صوت الأمة العربية، وهو يخاطب شعراء الضاد[٢].

شعراء الضاد: ما الشعر وما
موضوعُ الوجدان منه واللسانْ؟
وهل اللذَّةُ أقصى همَّه
فهي فيه أولٌ والرأي ثان؟
وبمعنى، أم بلفظٍ سرُّه؟
أم هو الميزان فيه الكفتان؟
إن هذا الشعر يُخْفي سرّه
فهو كالحسن، ويرضي الناظران

والشاعر أمين نخلة يتراءى له حب الأمة العربية ولغتها المجيدة في كل ما يمت لها بصلة، هاهو يخاطب النابغة التركي في الخط العربي حامد مشيراً لترك الأتراك اللغة العربية واعتمادهم الكتابة باللغة اللاتينية إذ قال[٣]:

أ «حامد» تلك الضّاد، هل كحروفها
حلا لعيونٍ إثمدٌ، ومراود؟!

فسلْ قومك التُرك، الذين تَغيروا
عن الضاد، هل أدرك الفقدَ فاقدا
هو الحلْي جنب الحلْي دون سطورها
فيا أحرف اللأَّتين: أين القلائد

ونرى الشاعر أمين نخلة لا يترك مناسبة إلا ويفاخر باللغة العربية الفصحى، هاهو يفتخر بها في تصديره لديوان الأستاذ حارث طه الراوي العراقي (بتاريخ ١٩٦١م) إذ قال[٤]:

وألذّ الكلام: معنىً طريفٌ
جلَّلته الفصحى بمبنىً تلاد
فهو بين العيون «طائي» حسنٍ
جاء في «بحترية» الأبراد

أمُه الضاد، يوم يفخر باللسا
ن وأكرمْ بالأم والأولاد!
وعفاءٌ على الجديد من الشعـ
ـر إذا أتى بغمط الضاد

وهو يبارك كل من يخدم اللغة العربية الفصحى ويعمل على رفع شأنها، هاهو يقدم شكره إلى الشيخ عبد الله البستاني الذي أهدى للشاعر أمين نخلة الجزء الأول من معجمه اللغوي «البستان» إذ قال مخاطباً إياه[٥]:

إن «جزءًا» أهديته لبَكلٍّ الدْ
دُرَّ، في أبحرٍ، وفي أجياد!
تشتهيه الملوك في قطع الحلْـ
ـي، وفي التَّاج، أو على الأبراد
بات اهداؤه إليَّ حديثاً
من حديث السمَّار في كل واد
عجز الشُّكر في فمي لأياد
ـك، فعذراً، يا لطف ربَّ الضاد

ليت هذا «الجزء» المجمَّم بالفصـ
ـحى يؤدي الذي يكنُّ فؤادي

وفي رثاء الشيخ سعيد تقي الدين يدافع الشاعر أمين نخلة عن المرثي اتهامه بعق اللغة العربية الفصحى، فقال من قصيدته (في مأتم الأضداد)[٦]:

زعموكَ حرب الضَّاد، زعمُ جهالة
أتَعقُّ بيتك، يا ابن بيت الضاد!

ثم يشير الشاعر إلى عائلة «تقي الدين» المعروفة بحبها للغة العربية الفصحى فقال:

إبداع «عمَّك» في الفصاحة معجبٌ
هتفت به الشعراءُ وسط النادي
وأخوك، أيُهمو؟ فإخوتك الأُلى
وردوا البيان، أتى مع الورَّاد
لم يرضَ، في تلك القلادة، موضعاً
تغدو به الفصحى بعيب قلاد!

ويحلق الشاعر أمين نخلة في حفل تكريم الشاعر الكبير «الأخطل الصغير بشارة الخوري» (١٨٨٥ ـ ١٩٦٨م) الذي أقيم عام ١٩٦١م ببيروت مظهراً شاعريته الثرة إذ قال[٧]:

أيقولون: أخطلٌ وصغيرُ!
أنت في دولة القوافي أميرُ
ولك التَّاج والمطارف والبُرْ
د، وركنٌ مجلَّلٌ وسرير
فاسحب الذَّيل ما تشاء، وجرِّرْ
إنَّ ملك البيان ملك كبير!

والشاعر أمين نخلة يعدّ نفسه من السعداء لصداقته للشاعر المكرم الأخطل الصغير في البيان والمكان، فكأنما هما الشاعران الأخطل الكبير والشاعر جرير في العصر الأموي المزدهر إذ قال[٨]:

جمعتنا على الوداد القوافي
والهوى الضخْمُ والطَّلاب الخطيرُ
حسب حظي في المجد أني أخو "الأخـ
ـطل" فانظر: هل جاء مني "جرير"

وهاهو الشاعر أمين نخلة يحلق إلى الجوزاء في ترحيبه بأمير الشعراء «أحمد شوقي» في حفل تكريمه في بيروت مشيراً إلى شاعريته وثقته بنفسه أمام الشاعر المكرم إذ قال[٩]:

قل «لشوقي» في سدة الحفل: لولا
ما بدا من جلاله ووقاره
لارتجلت القريض مستنزلاً فيـ
ـه سقوط الندى على أزهاره
وأنا ابنُ الغمام، من سرحة السفـ
ـح، وضاحي إبتلاله،
واخضراره
وأنا شاعر الشباب، وحسبي
جولة عن يمينه أو يساره!

فإذا افترَّ ثغر شعري في الرّو
ع، فأعظم بثغره، وافتراره

وفي حفلة تأبين الزعيم اللبناني الوطني المعروف رياض الصالح (١٨٩٣ ـ ١٩٥١م) يظهر الشاعر أمين نخلة وطنية المرثي، ومكانته كزعيم وطني في قلوب أبناء الأمة العربية، معبرين عن حبهم ببيان عربي مشرق يفيض بالثناء والإشادة بالمرثي، فقال[١٠]:

يا «رياضاً»: أتاك من عَرَب الأر
ض ثناءٌ مشمرٌ، وثواب
فاض صدر النديّ بالخُلْص الصيّـ
ـد وعجت فصحى وجالت
عراب
هذه الضاد قد تجلت، فمن كلٍّ
سماءٍ تنوفهُ وركاب

وفي حفلة إقامة تمثال المغفور له رياض الصالح يشير الشاعر أمين نخلة لاحتفائه شخصياً بتأبينه ـ آنذاك ـ واليوم يحتفي بإقامة تمثاله مظهراً شاعريته التي سخرها للإشادة بالوطني الكبير رياض الصالح، بشعر بعيد عن التزلف والمديح الرخيص وإنما بشعر يتجلى فيه حب وتقدير واحترام لمن خدم لبنان والعرب إذ قال[١١]:

بالأمس قد ألبستُ يومك حلَّة
واليوم يأتيك القشيبُ المعجب
يتساءل الشعراء فيَّ، وإنما
صدْقُ الهوى يملي عليّ وأكتبَ!
أقسمتُ بالأدب المُدلّ، ووالدٍ
عن والدٍ يَرِثُ الذُّيولَ، ويسحبُ
لولاك لم يطأ المدائح خاطري
يوماً، ولكنَّ المودة توجب

وعندما زار الشاعر الكبير حافظ إبراهيم (١٨٧١ ـ ١٩٣٢م) لبنان رحب بقدومه الشاعر أمين نخلة مذكراً بقصيدة الشاعر الزائر التي يمجد فيها اللغة العربية الفصحى ودفاعه عنها: «أنا البحر في أحشائه الدُّر كامنٌ» فقال[١٢]:

يا حافظ الفصحى، تنقل، أو أقم
بسماء مصر، لك الخيال الأوسع
الشمسُ واحدة فريدٌ أوجها
ولها بكل سماء أرض مطلع

ولا عجب في ذلك فهو الشاعر المتحدر من دوحة مهد العرب، الجزيرة العربية، من «بني هاشم» كما ذكر الشاعر فؤاد الخطيب (١٨٨٠ ـ ١٩٥٧م) إذ قال مخاطباً الشاعر أمين نخلة مهنئاً إياه بانتخابه نائباً عن جبل لبنان سنة ١٩٤٧م:

يا ابن «الهواشم» من فتيان دوحتهم
نعم الفتى، أنت، من فتيان غسان!

١- الديوان الجديد - ص (٣٠٤.٣٠٨).
٢- ليالي الرقمتين ص(٨٠.٨٤).
٣- الديوان الجديد ص(١٢١.١٢٢).
٤- الديوان الجديد ص(٣١٩.٣٢٠).
٥- الديوان الجديد ص(١٦٢.١٦٣).
٦- الديوان الجديد ص(٢٥٠.٢٥٧).
٧- الديوان الجديد ص(٢٩٧.٣٠٠).
٨- الديوان الجديد ص(٣٠٩.٣١٦).
٩- الديوان الجديد ص(٢٩٧.٣٠٠).
١٠- الديوان الجديد ص(٢٠٨.٢١٧).
١١- الديوان الجديد ص(٢١٧.٢٥).
١٢- ديوان أمين نخلة، المجموعة الكاملة، إعداد إيهاب النجدي، مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ٢٠٠١م ص٣.

في ذكراه المئوية..
مهرجان شعري بمناسبة
إصدار ديوان الشاعر عدنان مردم بك

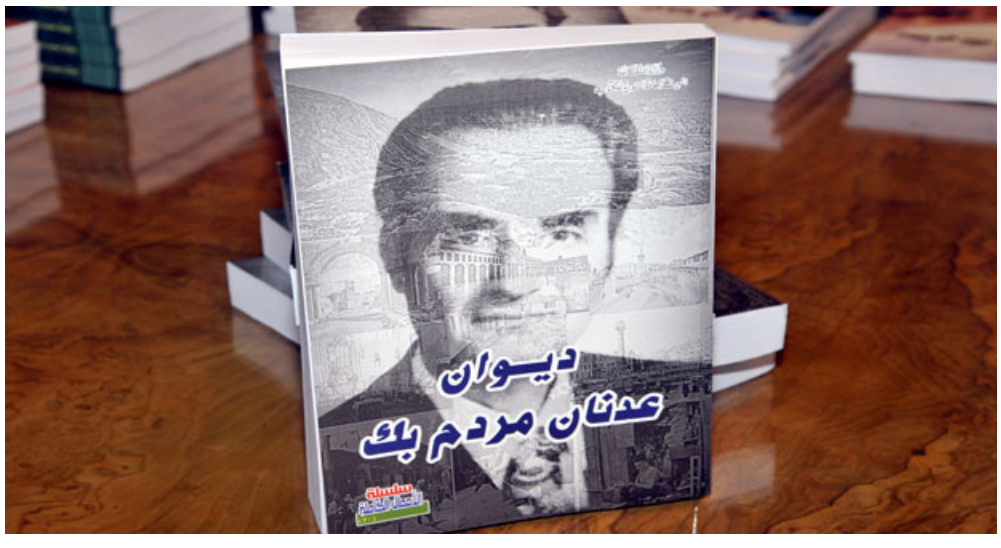

بمناسبة إصدار ديوان الشاعر عدنان خليل مردم بك في ذكراه المئوية أقيم مهرجان شعري بعنوان "الشعر والشباب" تضمن مشاركات شعرية لعدد من الشعراء الشباب إضافة إلى معرض كتاب خاص بكتب الشعر الصادرة عن الهيئة العامة السورية للكتاب واحتفاء بديوان الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر عدنان مردم بك وذلك في دار الشاعر مردم بك للآداب والفنون.

وقال وزير الثقافة الأستاذ المحامي عصام خليل في كلمته بهذه المناسبة: "نحاول معا تفسير ما قاله صاحب النشيد الوطني العربي السوري "وروح الأضاحي رقيب عتيد" ، مضيفا أن كل ما أنجزته سورية بدمائها وعقلها وفكرها ووعيها وبأوجاع نسائها وأحلام رجالها هو أمانة في أعناقنا يجب أن نصونها لأن هناك من يراقب الأحفاد إن كانوا على مستوى الأمانة أم لا، كما أثنى على النصوص الشعرية التي ألقيت معتبراً أنها تبشر بمستقبل أدبي لما تضمنته من إمكانات لغوية وأدبية.

أما مدير عام الهيئة العامة السورية للكتاب الشاعر الدكتور جهاد بكفلوني، فتحدث عن مناقب الشاعر خليل مردم بك والد عدنان مردم بك ومدى انتمائه الوطني وثقافته الواعية والشاملة كما سلط الضوء على أهمية شخصية الشاعر عدنان مردم بك الأدبية المحتفى بها موضحاً أن الهيئة العامة السورية للكتاب طبعت ما توفر لديها من أشعاره في ديوان كامل. كما القى قصيدة شعرية في هذه المناسبة بعنوان "الشعر إشعاع الحضارة".

أما الشاعر الشاب محمد طلال البني فقرأ قصيدة بعنوان "مخاض الألم" عبر فيها عما يجول في خاطره من خلال تجاربه الذاتية في الأزمة التي تمر بها سورية والتي يمكن إسقاطها على ألم كثير من الشباب من أبناء جيله فكان يشعر بالحزن والهجران وهو بين ناسه.

في حين جاءت قصيدة «دمشق» للشاعر الشاب أحمد بلاش لتعبر عن أهمية مدينة دمشق قلب العروبة النابض.

ورافق الفعالية توقيع ديوان الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر عدنان مردم بك الذي ضم الدواوين المطبوعة في حياته وهي «نجوى» و«صفحة ذكرى» و«عبير من دمشق» و«نفحات شامية» مضافاً إليها ديوانه المخطوط «عالم الليل».

يشار إلى أن الشاعر عدنان مردم بك من مواليد عام ١٩١٤ وهو ابن العلامة شاعر الشام خليل مردم بك وأسهمت نشأته في دار تزخر بالكتب في تفتح موهبته الشعرية باكراً، إذا بدأ ينشر قصائده الشعرية في صحف دمشق وهو دون الخامسة عشرة من عمره تحت اسم "فتى النيربين"، تولى العديد من المناصب فكان قاضياً للتحقيق ثم قاضياً في محكمة البداية ثم قاضياً في محكمة النقض.

وتميزت المرحلة الأخيرة من حياته بتدفق عطاءاته الإبداعية في تأليف المسرحية الشعرية ونظم القصائد وجمع آثار والده الأدبية ومن ثم تحقيقها وطبعها وفي أوائل الثمانينيات وانتسب إلى اتحاد الكتاب العرب وإلى رابطة الأدب الحديث.

أما دار الشاعر عدنان مردم بك للآداب والفنون فقد كانت محجاً لرجال الفكر والأدب من سائر البلدان العربية والأوروبية وما من أديب مرموق أو مستشرق كبير إلا وزار هذه الدار أمثال أمير الشعراء أحمد شوقي غداة زيارته دمشق سنة ١٩٢٤ والشاعران العراقيان الكبيران جميل صدقي الزهاوي ومعروف الرصافي والشعراء خليل مطران وبشارة الخوري وإيليا أبو ماضي وغيرهم.

وكانت الدار مسرحاً لحوادث تاريخية وسياسية وأدبية مهمة فقد عقد فيها أول ندوة سياسية تقام في مدينة دمشق عام ١٩١٣ حيث أقرت الندوة وجوب جمع شمل العرب والمطالبة بحقوقهم كاملة لها كيانها التاريخي والواقعي كما انبثق من دوحة هذه الدار النشيد الوطني العربي السوري «حماة الديار» إضافة إلى الرابطة الأدبية ومجلة الثقافة الدمشقية التي كان من أعضائها جميل صليبا وكامل عيد وكاظم الداغستاني.

المشْهد الرّاهن للعربيّة
(ملاحظات وتساؤلات)

• غياث رمزي الجرف

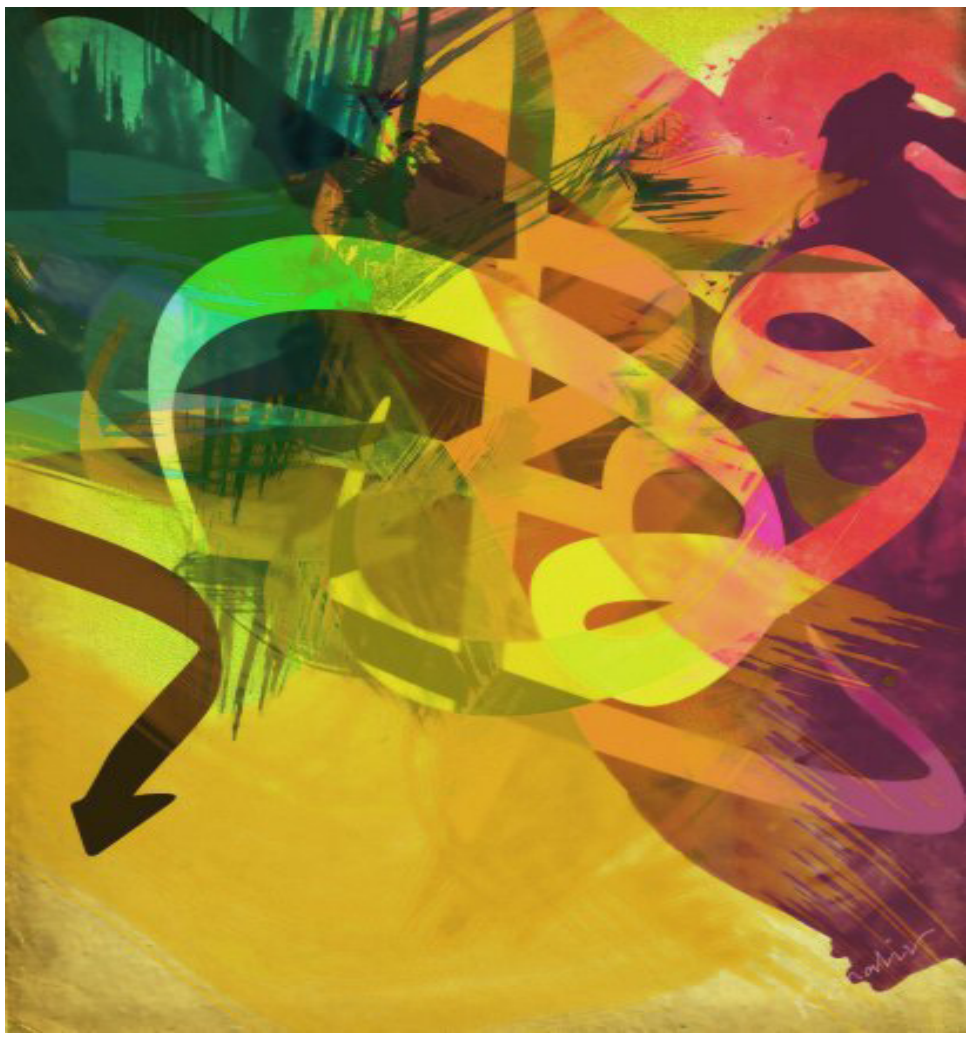

ما أكثر الحديث هذه الأيام عن اللغة العربية و (أزمتها) في مختلف الأقطار العربية، وما أكثر ما كُتب، ويُكتب، في هذه المسألة من كتب وكتيبات وأبحاث ومقالات...

وما أكثر الندوات الثقافية والفكرية واللغوية التي تقام هنا وهناك على امتداد الجغرافية العربية، وما أكثر اللقاءات مع أهل الفكر والثقافة واللغة عبر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية.. الذين يتصدون لتحليل مفردات اللغة العربية والمستوى المتدني الذي وصلت إليه لدى الناطقين بها...، وتشريح الواقع العربي المتردي، بل المزري على مختلف الصعد السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والإعلامية واالتربوية والأدبية... وما أكثر المؤتمرات الثقافية العربية التي ترصد مشكلاتنا وقضايانا وفي طليعتها قضية اللغة العربية، وآلام المواطن العربي وآماله وطموحاته وأحلامه بأن يحيا حياة إنسانية حرّة كريمة... وهذه المؤتمرات تقرر أن المنطقة العربية تمرّ بمرحلة خطرة من تاريخها، وأن الإمبراطورية الأمريكية والقوى الاستعمارية والصهيونية تريد تغيير نسيج المنطقة الثقافي واللغوي (..؟) فتعلن تلك المؤتمرات رفضها القاطع للهيمنة الأمريكية ولجميع المخططات الإمبريالية التي تسعى إلى النيل من الثقافة العربية ولغتها العتيدة، كما تعلن رفضها الحاسم للاحتلالات العسكرية والثقافية والإعلامية واللغوية الصهيونية / الإمبريالية التي تستهدف العالم العربي الكبير، وأنها، أي المؤتمرات تعمل بكل جدية ومسؤولية على بناء خطة محكمة لمواجهتها... وإلى ذلك جميعاً فقد أشارت هذه المؤتمرات، ولا تزال تشير، إلى الأهمية البالغة للثقافة واللغة في تقارب ووحدة الشعوب العربية، وتضييق الفجوات الناجمة عن السياسات والأيديولوجيات التي تدفعها إلى مسارات التباعد والافتراق..؟ وماذا بعد..؟ المعطيات والوقائع على الأرض تشير، بلا شبهة، إلى أنّ كل شيء يسير باتجاه المزيد من الفساد والتردي على المستويات كافة، كما تشير إلى أنّ التباعد والافتراق والتنابذ غدا ناموسنا، وأنّ تدنّي العربية في ازدياد واطّراد (..؟). أجل.. صحيح أن النحو هندسة اللغة، واللغة وسيلة الثقافة والاتصال والتواصل.. والفكر في حالة الفعل.. وهي الهوية و(الرجاء) بل هي من أهم الحقائق التي يقوم عليها الوجود العربي القومي، إذ لا يمكن، بحال من الأحوال، أنْ (يبلغ الوعي السياسي والقومي عند الأمة مداه الأبعد مالم يقترن بوعي لغوي سليم) هذا الوعي الذي يسهم إسهاماً كبيراً في تكوين الشخصية المستقلة لأمتنا العربية شأنها في ذلك شأن كل أمة حيّة من أمم المعمورة.

إنّ لغتنا العربية، نحواً وصرفاً، تمتلك بنية ذاتية غنية وناضجة وقابلية مستمرة للتوليد والتجدد والبقاء.. وتطورها لا يكون إلا من داخلها، أي ضمن أنظمتها النحوية والصرفية... قال العالم اللغوي الشهير أبو منصور الثعالبي في مقدمة كتابه (فقه اللغة وسرّ العربية): من أحبَّ الله تعالى، أحبَّ رسوله محمداً (ص)، ومن أحبَّ الرسول العربي أحبَّ العرب، ومن أحبَّ العرب أحبَّ العربية، ومن أحبَّ العربية عُني بها وثابر عليها وصرف همته إليها... فالعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد. ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن وزيادة البصيرة في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان، لكفى بها فضلاً يَحسُن أثره، ويطيب في الدارين ثمره. وفي الحديث الشريف قال رسول الله (ص): ((أحبّوا العرب لثلاث: لأني عربيّ، والقرآن عربيّ، وكلام أهل الجنة عربيّ)). واللغة العربية لغة شعرنا العالي وعلومنا وفلسفتنا وفكرنا وتراثنا من ألفه إلى يائه، والكثير من تاريخ العالم وأدبه وعلومه وفلسفته.. مكتوب بها.

هناك علاقة جدلية / عضوية بين اللغة والهوية والانتماء الوطني والقومي، والسؤال: هل يمكن النهوض بلغتنا العربية قبل النهوض بالمستوى الثقافي (وغير الثقافي) للمجتمع ؟ وهل يمكن (التمكين) للعربية قبل (تمكين) الانتماء الوطني والقومي؟ ولعل من المفيد، هاهنا، أنْ نقول: إنّ الانتماء الوطني والقومي المجدي والفعّال لا يُبنى على الخطب الحماسية الرنّانة، ولا على شعارات بلا ضوابط تُطلق على غير هدى.. ولا على رومانسية حالمة، وعواطف ومشاعر وأحاسيس سامية فحسب، بل لا بدّ، في الوقت نفسه، من أنْ يستند هذا الانتماء إلى رؤى فكرية، سياسية، اقتصادية، اجتماعية، إنسانية، تاريخية ومستقبلية شمولية موحَّدة وموحِّدة... ولا بدّ، كذلك، من أنْ يستند هذا الانتماء إلى وعي وطني - قومي سليم معافى ينهض على ثقافة وطنية قومية تنويرية عميقة موصولة بوعي علمي معرفي متقدم ومتطور... وإذا لم يحصل ذلك فإن الانتماء واللغة والهوية، بل الوجود العربي القومي برمّته يصير ريشة في مهب الريح، أو على الأقل يصير ضعيفاً هشاً قابلاً للكسر في أيّ حين...

لقد قرأتُ في الأيام القليلة الماضية أكثر من ثلاثين كتاباً ومقالاً وبحثاً، جميعها تتناول مشكلاتنا اللغوية، وموضوع اللغة العربية ومفرداتها ووجوهها المختلفة وبلاغتها، وما يعتري هذه اللغة من ضعف وما يهددها من أخطار وتحديات على الصعيدين الداخلي والخارجي... فوجدتُ أنّ معظم هذه الكتابات، إنْ لم نقل كلها، لم تضع يدها على جوهر المشكلة، ولم تذهب عميقاً في صلب (أزمة) اللغة العربية والناطقين بها في وقتنا الراهن. ولستُ أعدو الصواب أو الدقة إنْ قلت أنّ أغلب هذه الكتابات تميل ميلاً شديداً إلى (اللفظية والإنشائية)، وإلى الإسهاب والإطناب، وكثرة (التضمينات) والتفاني في مدح العربية، وتبيان خصائصها ومزاياها ومكانتها الجليلة وعظمتها وقداستها، والتسبيح بحمدها... ووجدتُ أنّها كُتبتْ بأسلوب تقليدي ومدرسي واحتفالي خطابي، وبروح تقريرية وصفية تسجيلية وحماسية يغلب عليها الطابع (الشعاراتي) والمنطق (الاتهامي) فالإمبريالية الأمريكية والغربية والصهيونية التلمودية والعولمة يعملن على ضرب مرتكزات وجودنا القومي، وتهشيم هويتنا ولغتنا وثقافتنا على وجه الإجمال (..؟).

وفي هذا المقام لا بدّ لي من الإشارة إلى أمر، متصل بما سبق، غاية في الأهمية والخطورة، له علاقة مباشرة ببنية تفكيرنا، وسلوكنا اللغوي وكتاباتنا الأدبية وغير الأدبية، وله علاقة بحياتنا العامة والخاصة، وفي مختلف الميادين وعلى المستويات كافة، هذا الأمر يتعلق بظاهرتي (اللفظية والإنشائية). عندما تصل حضارة أيّ أمة من الأمم إلى نهاية قدرتها، أو قريباً منها، في الإبداع وابتكار الأشكال وصياغة الحياة صياغة جديدة تبدأ كفّة اللفظ بالرجحان، وتشيع نزعة غالبة في التكثير منه، وتتعدد المذاهب في صنعته وتزيينه، حتى ليقرأ القارئ في كثير من الأحيان كلاماً ووصفاً لأجلّ (المناسبات) وأحزنها وأفجعها وأكثرها تراجيدية على لسان سياسي أو كاتب أو شاعر أو خطيب.. وحتى على لسان الإنسان العادي في جريمة ومجزرة ما كصبرا وشاتيلا، وكفرقاسم، وخان العسل، ومدرستي عكرمة المخزومي والمحدثة، فيطير من الكلام والوصف وعنهما جلال، (المناسبة) التي هزّت عقولنا ووجداننا.. فلا يتبقى منها إلا ألفاظ رنّانة طنّانة مجموعة في جمل مُزَخْرَفَة، مُزركشة، منْحوتة لا تحرك في قارئها، على كثرة كلماتها أو صفحاتها التي ارتصّت فيها، لا تحرك شعوراً واحساساً بأثرها على الرغم مما حفرته تلك الجرائم والمجازر في ضميرنا... إنّ الميل إلى التزيين والزركشة والإفاضة في اللفظ، وغلبة النزعة اللفظية في الصياغة والإحتفاء بها ما تزال حيّة ونمارسها بإسراف حتى يومنا هذا (..؟). ومن يقرأ، على سبيل المثال، كتاب أمين الخولي (مشكلات حياتنا اللغوية) ومن يقرأ ما يُكتب هذه الأيام، عموماً، لن يخرج منه ومنها إلا بالقليل القليل على كثرة الكلام وترديده...

أما النزعة إلى الإنشائية التي تعني، فيما تعني، انقطاع الكلمة عن الفكر أو الإحساس، ودورانها على الألسنة أشبه ما يكون بالثرثرة..

ما هي إلا الرغبة في الكلام الذي لا تمليه حوافز حيّة في النفس، وأفكار واضحة عن الأشياء، وإحساس حيّ بالحياة ومكان الكلمة منها وارتباطها بها وفعلها فيها، وإنما تمليه الحاجة إلى الكلام، تعويضاً عن العجز في الفعل أحياناً، أو ارتزاقاً بالكلمة أحياناً، أو تغطية على حقيقة لا سبيل إلى الجهر بها، أو لا سبيل إلى إعلانها سراً أو جهراً. فبهذه الدلالة، إذاً، تكون هذه الظاهرة وجهاً من وجوه الموقف الحضاري العاجز الذي يدمنه هذا أو ذاك، ذلك أنه يستطيع أنْ يقول كلاماً كثيراً دون أنْ يقول فيه شيئاً، لأنه يستطيع أنْ يعيش عمراً كاملاً دون أنْ يحياه، أي دون أنْ يقترب فيه من نفسه ويتملى حقائقها ويرتعش لها، فليس المهم لديه، في كثير من الأحيان، أنْ يحس بدفقة الحياة فيما يقوله وما يفعله.. إنّه يكتب ويقول كلاماً إنشائياً خاوياً مثل حياته الخاوية... (أرجو أنْ أعود إلى هذا الموضوع الهام عبر مقالة مستقلة). (انظر: د. عبد الكريم الأشتر، الموقف الأدبي، العدد ٤٤١-٢٠٠٧).

أرى، فيما أرى، أنّ الروابط العروبية والأدبية واللغوية لهي العروة الوثقى الأقوى والأمضى والأبقى... وأذهب - كما ذهب العلامة عبد الكريم اليافي - إلى أنّ خدمة اللغة العربية هي خدمة للقومية العربية، وهي، في الوقت نفسه، خدمة للحضارة الإنسانية، وكل تهاون في شأنها معناه التفريط في حقٍّ أعلى روابط الوطن العربي، والتقاعس في جنب أغلى كنوز التراث الإنساني، لذلك كله لزم أنْ نحرص عليها حرصنا على كياننا، وأنْ نستمسك بها استمساكنا بحقيقتنا، وكل جهد يصرف في هذا الشأن لن يضيع عبثاً لا في الميدان القومي، ولا في الميدان الإنساني... بيد أن مشروع النهوض بلغتنا العربية لن يصل إلى مكان، ولن يثمر ويصير حقيقة واقعة تحقق ما نرجوه وما نتمناه إلا إذا خرجنا من دائرة الأمية الأبجدية والثقافية والحضارية، ونهض الوطن والأمة والشعب نهوضاً حضارياً شاملاً (سياسياً، اجتماعياً، اقتصادياً، ثقافياً، فكرياً، فنياً، علمياً، تقنياً...) والقول بأن قوة الأمة من قوة لغتها ليس دقيقاً، فقوة اللغة وعظمتها متصلة، على هذا النحو أو ذاك، بمكانة الشعب الذي يتكلم بها، وبدرجة الحضارة التي وصل إليها... وإلى جانب ذلك أرى بكثير من الوضوح أن مشروع النهوض باللغة العربية دون انتهاج سياسة ثقافية/لغوية/تربوية واضحة المعالم متكاملة ومترابطة وموضوعية، قابلة للتطبيق والقياس، وبعيدة عن الشعارات والضبابية ولغة المنابر.. ودون إرادة سياسية ثابتة وحازمة وحاسمة يكون، أي المشروع، قفزة في الفراغ...

ومن النتائج النهائية النتيجة التالية: لن (تنهض) وتتطور اللغة العربية ما لم (ينهض) ويتطور أصحابها أنفسهم، ولن تكون لغة حيّة إلا إذا حرص أصحابها على الحياة، ولن تكون لغة قادرة على الوفاء باحتياجات العصر إلا إذا ارتفع أصحابها إلى مستوى العصر... على حدّ تعبير العميد طه حسين.

بقيت لي كلمة: في عصر سياسي منحط وفاسد.. وفي واقع عربيّ متردٍ، بل مزرٍ، وفي ظلّ هذه الأوضاع التراجيدية السائدة في وطننا العربي الكبير، أقول - والألم، الوجع الشجن، الحزن.. يحتلني ويصادر بقايا العمر - لم يبقَ لي من لغتي الخضراء الجميلة، ومجدها التليد إلا الرفع والنصب والخفض والسكون.. إلا الأمر والنهي والمدح والذم والسين وسوف.. لم يبقَ منها إلا المفعول به ومعه وفيه.. الاستثناء وما يلحق به.. التحذير والإغراء ونونا التوكيد الثقيلة والخفيفة.. لم يبقَ من لغة الحبِّ والوجد إلا الأفعال الناقصة والمعتلة والمبنية للمجهول.. إلا الممنوع من الصرف والكناية والتورية (..؟!).

واقع لغتنا العربية
مقياس حضارتنا

• سامر منصور

هل هي إلى انحسار أم إلى ازدهار ؟ وهل الحل في أن نبعث ما هجع من كلماتها في القواميس؟ أرى أننا يجب أن نركز على منع تسرب كلماتها إلى القواميس بما يقوم به العديد من الكتاب من استخدام لتلك الكلمات العربية البسيطة التيَ تكاد تتماهى مع الألفاظ العامية وإهمال سواها . حيث ينبغي التركيز على منع تسرب كلمات جديدة إلى القواميس أكثر من التركيز على بعث كلماتٍ هجعت هناك منذ عشرات السنين.

إن لغتنا إلى انحسار لأن أيَّ لغة من لغات الأرض مرتبطة بمقدار الازدهار الحضاري للأمة الناطقة بها وهذا ما تفتقده معظم الدول العربية اليوم حيث تسود الفوضى العديد من أصقاع بلاد العرب ومع الأسف لا تسلم المكتبات العريقة والمتاحف بما فيها من مخطوطات وكتب برسم الخط العربي تعتبر إرثاً نفسياً من الخراب والدمار . وسبق الأحداث الدامية التي نعيشها قرونٌ من الاستعمار الذي سعى حثيثاً إلى طمس هويتنا العربية ثم تلاهُ عقودٌ طويلةٌ من العولمة بالإضافة إلى أنَّ التخلي عن كل ما هو أصيل ورصين كانت من سمات عصر ما بعد الحداثة . وعبر التاريخ كنا نشهد انتشار اللغات بمقدار القوة الاقتصادية خاصة العلاقات التجارية. واليوم الأدوية في خزانات بيوتنا جلها لا تحمل سوى العبارات الانكليزية وحتى برامج الحواسيب المُعرَّبة مازالت لا تخلو من الكلمات و العبارات الانكليزية حتى الثياب المخصصة لفئة الشباب تحمل عبارات أجنبية (فهل هذا ضربٌ من ضروبَ العولمة البصرية؟) ومع الأسف يعمد بعض المثقفين والنخبويين والسياسيين إلى استخدام الكلمات الأجنبية والمصطلحات الأجنبية أثناء حديثهم في مقابلات تلفزيونية ، ربما كي يُظهروا للمشاهد أنهم مطلعين على آخر ما توصل إليه الغرب من اكتشافات أو ليظهروا أنهم من خريجي الجامعات الغربية . ومع عميق الأسف كانت بعض المساعي لتعريب الكلمات الأجنبية غير موفقة ، فمن منا لم يسخر من عبارة (الشاطر والمشطور والكامخُ بينهما) والتي أقرت كتعريب لكلمة (سندوتش - sandwich سندويشة) بينما جاءت تعريبات أخرى كثيرة موفقة ورشيقة ومناسبة لهذا العصر الذي تهيمن عليه السرعة والاختصارات ككلمة حاسوب كتعريب لكلمة (كمبيوتر computer) وقد نمَّ إدخال بعض المصطلحات العلميّة الأجنبيّة إلى اللغة العربية .. مثل (جيولوجيا – تكنولوجيا .. إلخ) عن وعي ومرونة لدى الجهات المعنية فمصطلح (أيديولوجي ideological) على سبيل المثال : جُعل لهُ أفعلٌ (أدلجَ .. يؤدلجُ)وفاعلٌ ومفعولٌ به ، مؤدلج ..إلخ)

ومن مفرزات العولمة دخول أنماط غريبة منالغناء ومنها الراب (Rap) والتي تقوم على النطق السريع للكلمات بحيث ينطق الحرف العربي وكأنه ممضوغ ، فلا تكون مخارج الحروف سليمة ولا المنطوق واضحاً ونمط الغناء هذا من أشهر أنماط الغناء الغربية ودول المغرب العربي وإن تابعنا برنامج (المواهب العربية) الشهير نجد أن الشعر لم يعد يظهر على شاشات التلفزة كموهبة من مواهب العرب ، بينما كان في السابق موهبة العرب الأساسية .. لا بل إنَّ الشعر ديوان العرب .. كان موهبةً لا تنازعها مكانتها أيُّ موهبة ،أما الأنف المواهب المُقلدة لفنون الغرب تهيمن على الكثير من عروض المتقدمين إلى ذلك البرنامج الشهير .ولعل اللغة العربية السليمة والجميلة لا تصل إلى أطفالنا في هذه الأيام ،إلا في صفوف الدراسة فمعظم البرامج التلفزيونية لم تعد تقدم باللغة العربية السليمة لابل إن بعض برامج الأطفال يُقدم باللهجات المحكية و (المصرية) بشكل خاص. وتجدر الإشارة في هذا اليوم بالذات إلى ما عاناه الأديب نجيب محفوظ من عواصف نقدية من العديد من الأدباء والكتاب .. لكنه تصدى لأمثال الدكتور عبدالعظيم أنيس الذي علَّق على كتابة نجيب محفوظ للحوار في روايتيه (زقاق المدق) و(بداية ونهاية) قائلاً « لولا إصرار نجيب محفوظ على إدارة الحوار بالعربية الفصحى في هاتين الروايتين لكان حظه من النجاح أوفر وأكمل. وفي السياق ذاته يقول المستشرق الإنجليزي (ديزموند ستيوارت) أحد مترجمي أعمال نجيب محفوظ إلى الإنجليزية عن موقف نجيب محفوظ من العامية « إن التزام نجيب محفوظ للفصحى في كتابة الحوار مخل بمطلب الواقعية وهو عند نجيب محفوظ نوع من العناد الطارئ لا يؤدي وظيفة فنية صحيحة « .

وكان رد نجيب محفوظ على هؤلاء .. وهو ردٌ يعتزُّ به كل مثقف عربي ..

« إن اللهجة العامية من جملة الأمراض التي يعاني منها الشعب والتي يتخلص منها حتماً عندما يرتقي ، وأنا أعدُّ العامية من عيوب مجتمعنا مثل الجهل والفقر والمرض تماماً والعامية مرض أساسه عدم الدراسة والذي وسع الهوة بين العامية والفصحى عندنا هو عدم انتشار التعليم في البلاد العربية « واليوم نعود لنؤكد في اتحاد الكتاب العرب.. (إن اللهجة العامية من جملة الأمراض التي تعاني منها أمتنا .)

سفير جمهورية كوريا الديمقراطية في زيارة لاتحاد الكتاب العرب:

(سورية) في اللغة الكوريــة تعني (بلد الصبح والآداب والأخلاق والكبرياء في الشرق)

و (كوريا) تعني (أول بلد يستقبل شروق الشمس)

في زيارة هي الثانية لاتحاد الكتاب العرب، استقبل الدكتور حسين جمعة رئيس الاتحاد وأعضاء المكتب التنفيذي سعادة السفير /زانغ ميونغ هو/ سفير جمهورية كوريا الديمقراطية بدمشق، يرافقه السكرتير الثاني بالسفارة ري بونغ تشول وذلك في الحادية عشرة من صباح الثلاثاء ١٦/١٢/٢٠١٤م، واستهلت الزيارة بالوقوف دقيقة صمت إجلالاً لأرواح كلٍ من القائد الخالد حافظ الأسد وزعيمي كوريا الراحلين / كيم إيل سونغ / و/كيم جونغ إيل/، وأرواح شهداء الشعبين السوري والكوري.

وفي بداية اللقاء تحدث السفير الكوري عن أهمية تزامن هذه الزيارة مع الذكرى الثالثة لرحيل الزعيم الوطني الكوري / كيم جونغ إيل /، وقدم شرحاً وافياً حول نضال الشعب الكوري الطويل ضد الاستعمار الياباني في أربعينيات القرن الماضي، ثم ضد الاستعمار الأمريكي وحكومته العميلة في جنوب كوريا، مبيناً أن كوريا الديمقراطية في سعيها نحو امتلاك قاعدة دفاع صلبة من الأسلحة الصاروخية إلى جانب سعيها المشروع لامتلاك السلاح النووي، إنما تريد ضمان مستقبل شعبها للوقوف في وجه مخططات العدوان الاستعمارية الأمريكية والامبريالية، وأن الشعب الكوري رفع شعار الاعتماد على الذات في كل شيء للتغلب على الحصار الجائر الذي تتعرض له البلاد...

وأشاد السيد السفير بنضال الشعب العربي السوري ضد الاستعمار الفرنسي في القرن الماضي وضد العدوان الصهيوني والهجمة الإرهابية الحالية المدعومة من أمريكا والغرب والصهيونية وأدواتهم في المنطقة وفي مقدمتهم تركيا التي سبق لها الانخراط في الحرب ضد الشعب الكوري أيضاً وسقط لها قتلى وجرحى وهي تقاتل مع الأمريكيين ضد تطلعات الشعب الكوري..

واستذكر السيد السفير اللقاء التاريخي بين القائدين الخالدين حافظ الأسد وكيم إيل سونغ في بيونغ يانغ عاصمة كوريا الديمقراطية في العام ١٩٧٤، والتي أرست لعلاقات قوية مستمرة بين البلدين الصديقين...

ثم تحدث الدكتور حسين جمعة رئيس اتحاد الكتاب العرب عن الحرب التي تخوضها سورية ضد العدوان الكوني والهجمة الإرهابية المدعومة من أمريكا والغرب الصهيوني وإرهابيين قادمين من أكثر من ثمانين بلد في العالم، وهي واثقة من انتصارها بفضل بطولات جيشها وشعبها وحكمة قائدها السيد الرئيس بشار الأسد.

وأشاد السيد رئيس الاتحاد بالعلاقات المتينة بين البلدين الصديقين واعتزاز أعضاء اتحاد الكتاب العرب بهذه العلاقات مشيراً إلى قيام الاتحاد بنشر العديد من المقالات للتعريف بنضال الشعب الكوري وقادته التاريخيين، ومعبراً عن الرغبة والاستعداد لتبادل الترجمات لإبداع الأدباء في البلدين الصديقين، وتعميق العلاقات الثقافية والأدبية بين أدباء وكتاب سورية وكوريا الديمقراطية...

ثم جرى نقاش بين السيد السفير وعدد من أعضاء المكتب التنفيذي لاتحاد الكتاب العرب حول عدد من القضايا التي تهم الشعبين الصديقين..

وفي نهاية اللقاء ذكر السيد السفير أن معنى كلمة (سورية) في اللغة العربية هو: بلد الصبح والآداب والأخلاق والكبرياء في الشرق، وأن معنى كلمة (كوريا) هو: أول بلد يستقبل شروق الشمس.

وفي نهاية اللقاء عبر الجانبان عن الرغبة المتبادلة بتوثيق الأواصر والعلاقات لما فيه خير الأدباء والمثقفين في البلدين الصديقين وعن الأمل الكبير بتحقيق انتصار الشعوب المناضلة ضد محاولات الهيمنة الاستعمارية في المنطقة والعالم...

أبو العلاء المعري..

عالم اللغة، والمفكر، والفيلسوف، والشاعر

• يونس محمود يونس

العلماء الذين كتبوا في اللغة شرحاً وتفسيراً وإعراباً يذكرهم المؤرخون بالخط العريض. كما يذكرون مؤلفاتهم وأساتذتهم وتلامذتهم أيضاً. لكن وبغض النظر عن قيمة هؤلاء. فإني أجد نفسي مهتماً بالمبدعين الذين أبدعوا في الفكر والفلسفة والشعر أيضاً. وأخص بالذكر الفيلسوف والشاعر أبا العلاء المعري. لأنه سوري وعربي، وهو مبدع محلي وعالمي أيضاً. خاصة عندما نعرف أنّ غوته اقتبس ملحمته التي اشتهر بها. الكوميديا الإلهية. من رسالة الغفران. إذاً أبو العلاء. المفكر والفيلسوف والشاعر. سوري النشأة والثقافة، وقد مات ودفن في منزله في معرة النعمان، وبالنظر إلى أهميه تراثه فإني لا أجد من يتقدم عليه. لأنّ اللغة هي الفكر، ولأنّ فكر أبو العلاء أعلى من كل من سبقه أو جاء بعده. وللحديث عنه. لا بدّ من التعريف به كما ورد في كتب التاريخ. أبو العلاء المعري هو أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي المعري (٣٦٣-٤٤٩) هـ (٩٧٣-١٠٥٧) م، شاعر وفيلسوف وأديب عربي سوري، ولد وتوفي في معرة النعمان في الشمال السوري. لقب بـ "رهين المحبسين" بعد أن اعتزل الناس لبعض الوقت، وقد نشأ المعري في بيت علم ووجاهة، وأصيب في الرابعة من عمره بالجدري فكفّ بصره، وكان نحيف الجسم. نبغ في الشعر والتفسير والفلسفة. عبقرية أبي العلاء المعري : درس اللغة والأدب والحديث والتفسير والفقه والشعر على نفر من أهله، وفيهم القضاة والفقهاء والشعراء، وقرأ النحو في حلب على أصحاب ابن خالويه، ويدل شعره ونثره على أنه كان عالماً بالأديان والمذاهب وفي عقائد الفرق، وكان آية في معرفة التاريخ والأخبار، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة كان على جانب عظيم من الذكاء والفهم وحدة الذهن والحفظ وتوقد الخاطر، وسافر في أواخر سنة ٣٩٨ هـ إلى بغداد. فزار دور كتبها، وقابله علماؤها، وعاد إلى معرة النعمان سنة ٤٠٠ هـ، وشرع في التأليف والتصنيف ملازماً بيته، وكان كاتبه اسمه علي بن عبد الله بن أبي هاشم. عاش المعري بعد اعتزاله زاهداً في الدنيا. معرضاً عن لذاتها، لا يأكل لحم الحيوان حتى قيل إنه لم يأكل اللحم ٤٥ سنة، ولا ما ينتجه من سمن ولبن أو بيض وعسل، ولا يلبس من الثياب إلا الخشن، ويعتبر المعري من الحكماء والنقاد. توفي المعري عن ٨٦ عاماً ودفن في منزله بمعرة النعمان، ولما مات وقف على قبره ٨٤ شاعراً يرثونه رسالة الغفران هي كتاب وضعه أبو العلاء في أثناء عزلته رداً على رسالة بعث بها إليه شيخ حلبي من أهل الأدب والرواية يدعى علي بن منصور ويعرف بابن القارح، وفيها يشكو أمره اليه، ويطلعه على بعض أحواله، ثم يعرض لأشخاص من الزنادقة والملاحدة أو المتهمين بدينهم فيتحدث عنهم ويذكر شيئاً من أخبارهم، ثم يسأله في ختامها أن يجيب عليها. فهذه الرسالة لم تكن لتوضع في تاريخ الأدب العربي لو لم تكن سبباً لخلق رسالة الغفران. إذ إنّ هذا الفيلسوف الضرير لم يشأ أن يردّ على رسائله إلا بعدما صدّر جوابه بقصة رائعة جرت حوادثها في موقف الحشر. فالجنة. فالجحيم، ووسمها برسالة الغفران لكثرة ما تردد فيها ذكر الغفران ومشتقاته، وما ورد في معناه، وسؤال الشاعر الذي كتبت له النجاة : بمَ غفر لك. وهذه الرسالة قسمان. الأول: رواية الغفران، والثاني: الرد على ابن القارح، وقد صدر أبو العلاء هذه الرسالة بوصف لرسالة ابن القارح، وقد قسمت رواية الغفران إلى ستة فصول. الفصل الأول: في الجنة. الفصل الثاني : موقف الحشر. الفصل الثالث : عودة الى ذكر الجنة. الفصل الرابع : جنة العفاريت. الفصل الخامس : الجحيم. الفصل السادس : العودة الى الجنة. وقد كتب أبو العلاء كتب أخرى. أهمها. اللزوميات. سقط الزند. شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، وكتب أخرى. لكن هل ما قلناه في مدح أبي العلاء يكفي القارئ لكي يقف على فهم تراث أبي العلاء وغيره من علماء اللغة. الجواب لا. بالتأكيد. فقد مر تقريباً نحو ألف سنة على زمن أبي العلاء، وما كان معروفاً في ذلك الزمن من مفردات وتراكيب لغوية. لم يعد في متناول المتخصصين في فقه اللغة وعلومها. وكما يحدث في كل اللغات الحية. فإنّ الكثير من المفردات والتراكيب اللغوية تخرج من التداول أو الاستخدام لأسباب موضوعية ثقافية واجتماعية واقتصادية وغيرها من الأمور الحياتية الأخرى، ولغتنا العربية ليست استثناء. إذ لم يعد بمقدور الأجيال المعاصرة فهم لغة أبي العلاء وأمثاله من النحويين الذين عاصروه، وما زال الدارسون والمختصون بعلم اللغة والتراث، وأخص بالذكر السوريين. بعيدون تماماً عن نقل هذا التراث العظيم بأسلوب معاصر يناسب لغة وأسلوب الأجيال المعاصرة. فقط هناك عائشة عبد الرحمن من مصر قامت بجهد عظيم في هذا المجال. نأمل أن تتكرر تجربة عائشة عبد الرحمن بأقلام وعقول سوريين، ليس لإعلاء شأن أبي العلاء. بل لإعلاء شأن سورية والثقافة السورية عموماً. خاصة وأنّ من يكتب عن أبي العلاء سيعلو هو، وليس العكس، كما أنّ احترام أعمدة الثقافة وتكريس هذا الاحترام يبعد عنا همجية الوحوش الذين يعيشون بين ظهرانينا، وقد كان آخر ظهور لهم. حينما تجرؤوا على الانتقام من فكر أبي العلاء بقطع رأس تمثاله.

دفاعاً عن الذات

• د. خير الدين عبد الرحمن

لم يكترث كثير من العرب بتلاحق مؤشرات خطيرة شديدة الوضوح في العقود الأخيرة على ما تعيشه أمتنا اليوم من انهيارات. نأخذ من تلك المؤشرات مثلاً تسويغ المستشرق الصهيوني برنارد لويس لحرب التدمير الأمريكية للعراق، ودعواته اللاحقة إلى تكرار الغزو الأمريكي والأوربي في بلدان عربية أخرى، إلى أن يتم إلغاء كلمتي عرب وعروبة ومشتقاتهما من التداول نهائياً. كان لويس قد شدّد قبل ذلك على ضرورة تفتيت البلدان العربية والإسلامية بأكثر مما فعل مارك سايكس وجورج بيكو، بحيث تتحول كل قبيلة في الجزيرة العربية وما حولها إلى دولة : هذا ما جاء حرفياً في خطته المدعّمة بخرائط التفتيت التي اقترحها، والتي تبنتها وزارة الدفاع الأمريكية، ثم اعتمدها الكونغرس الأمريكي قبل ثلاثة عقود. لقد شدّد لويس على ضرورة استبدال اللغة العربية باللهجات المحلية، وحرَض على الفصل بالقوة والقسر ما بين العروبة والإسلام. ولعل مكمن سقوط نظريات برنارد لويس وخطته التفتيتية والإلغائية هو انطلاقه من تحدي حقيقة بسيطة راسخة محورها أن العروبة والإسلام صنوان دائمان وتوأم باق، لكن المدى الزمني لإسقاط مثل تلك الخطط التي تحولت إلى جائحة غزو عسكري وإعلامي وثقافي وقيمي، وحجم التضحيات التي يتطلبها إنقاذ الذات العربية يعتمدان على يقظة وعي مؤهل لنقد ذاتي وتصويب المنطلقات والأدوات والأداء والعلاقات البينية والخارجية، ولعل أول خطوات التصويب تجديد احترامنا للغتنا وتعزيز حرصنا عليها. فاللغة مسكن وحضن، وهي تسكننا ونحن نسكنها، وهي البيئة الأولى التي يتفتح في آفاقها الذهن وينتعش الفكر وينشط الخيال.. بها نتحدث ونكتب ونناقش ونختلف ونقبل ونرفض، وبها نتعلم ونتأدب ونسافر ونتغير ونتطور، وباللغة نحب ونكره ونسامح وننتج وننجز وننمو ونتعرف وهي موجودة بداخلنا وتحاصرنا في العمل والمنزل وعلى المكتب وفوق الأرفف والأدراج والخزائن والمباني والمحلات والشوارع والمطارات وبكل موقع نعيش فيه أو نتحرك خلاله نجد كلمات وإشارات وإعلانات ولافتات ومصطلحات (زكية مال الله، اللغة والتواصل مع العصر، الوطن، الدوحة، ٢٠٠٨/٢/١١).

اعتبر أرسطو أن (اللغة هي التي تمنح الإنسان إنسانيته و إحدى أشد وسائل التعبير تعقيداً)، بينما غادامير أن « اللغة هي أحد الألغاز العظيمة في التاريخ الإنساني «. واعتبرها دلتاي (القناة التي تمكن الإنسان من انجاز الفهم) ورأى بول ريكور أن (فهم الإنسان لنفسه وللعالم يرتكز على اللغة)، وذهب مارتن هيدجر إلى أن (الإنسان كائن لغوي، وليس كائنا عاقلاً)! اللغة العربية واجب على كل مسلم ومسلمة.

إن من أبرز حقائق عالمنا المعاصر تحول الثقافة إلى قوة إنتاجية مباشرة، في سياق تصاعد ثورة المعرفة والمعلوماتية والعلم ودفق الابتكارات التقنية. وهناك حقيقة أخرى راهنة هي تعرض كثير من اللغات الوطنية إلى مخاطر جادة، في ضوء سعي القوة المهيمنة إلى فرض نموذجها القيمي والثقافي ونسقها المعيشي مواكباً لهيمنتها الاقتصادية المدعومة بقوة عسكرية طاغية. لقد حملت ظاهرة العولمة في طياتها، بعدما غلبت عليها الأمركة، تعاظم البعد اللغوي لثقافة الغالب في سياق ما اعتبره ابن خلدون اقتداء المغلوب بالغالب، أو ما اعتبرناها نحن علاقة القاهر بالمقهور. أسهم هذا مع عوامل أخرى في اندثار مئات اللغات المحلية، وضمور آلاف أخرى، خلال العقود الأخيرة. وهكذا توقع علماء وخبراء موت سائر اللغات القومية في العقود القليلة القادمة عدا خمس لغات أو ست، من بينها العربية، وأبرزها الانجليزية / الأمريكية. لكن هذا التوقع لا يلغي احتمالات أخرى خارج هذه التوقعات، ولا يمنح اللغة أو الثقافة حصانة مطلقة. صحيح أن الذكر الحكيم، الذي جزم الخالق أنه حافظه، كفيل بحماية اللغة العربية، لكن هذا لا يجعلنا نغفل خطورة محاولات دائبة بدأت بتزوير اللغة الآرامية المربعة وادعائها لغة (عبرانية) في سياق افتعال (شعب يهودي)، مروراً بإسرائيليات زوَّرت أحاديث نبوية وقواعد فقهية، وحوَرت وقائع تاريخية، وتسريب نسخ محرَفة للقرآن الكريم، وصولاً إلى مشروع متكامل ومدروس بعناية يسعى إلى تعميم تدريجي لكتابة القرآن بالحروف اللاتينية، في سياق دفع استعمال اللغة العربية إلى ضمور متزايد، ثم تعميم الانتقال بآيات القرآن الكريم من نصوص مكتوبة بالحروف اللاتينية إلى اكتفاء بمعاني تلك الآيات، مع تلاعب متدرج يؤدي إلى استبعاد الآيات التي تفضح سلوك اليهود، وتزوير آيات أخرى.

لقد تضافرت عوامل وتطورات داخلية، سياسية واقتصادية واجتماعية، مع عوامل وتطورات خارجية في تراجع مستوى أداء الطلاب العرب عموماً في مادة اللغة العربية مما انعكس على المجتمع عامة بما في ذلك مثقفيه، وبما أدى إلى اتساع في استخدام عربي متزايد للغات أجنبية في التعامل اليومي بديلاً جزئياً أو كلياً للغة الأم، في سياق تراجع وتخلف مستوى ومناهج التعليم عموماً في معظم الأقطار العربية. أكثر من هذا، باتت الانكليزية أو الفرنسية تستخدم في المعاملات والمخاطبات الرسمية على نحو متزايد ضمن وزارات ومؤسسات حكومية في عدة دول عربية، وامتد هذا الخلل فبات التخاطب بين أفراد أعداد متزايدة من الأسر العربية يتم غالباً بلغة أجنبية، مما انعكس على ثقافة كثير من أبناء الجيل الجديد وقيمهم وانتمائهم وهويتهم.

لقد جاء تراجع لغتنا الراهن نتيجة لردة سياسية كرَست القطريات الضيقة على حساب الوحدة الطبيعية لوطن أمة خلقها الله عز وجل واحدة، لكن الأطماع والغزوات الخارجية عملت بدأب على تمزيقها، مستعينة بوهن أبنائها وتخلفهم. لقد تلاحقت التحذيرات من مخاطر الوهن الناجم الوضع البائس الراهن للأمة العربية الذي بات يوهن الانتماء والهوية، وجوهرهما لغتنا العربية. إن مفهوم الامة العربية تقلص بالفكر والممارسة الى مفهوم الامة القطرية، فظهرت نخب وقيادات وتيارات تقول مثلاً ان هناك امة مصرية، حدث هذا في ذروة الحراك السياسي الذي رافق وزامن وتلا اتفاقية كامب ديفيد، لا بل إن اللغة العربية وهي أحد أهم أعمدة مكونات العناصر المكونة للامة العربية، أخذ البعض يستبدلها بلغة مسخ هجينة وبنت حرام وهي ما يسميه البعض عربيزي، يتواصل بهذه اللغة المسخ عدد كبير من متعلمي العرب، وأصبحت لغتنا الأم تغيب شيئاً فشيئاً عن وسائل التواصل المسموعه والمرئية والمكتوبة، وراح كثير من المثقفين يكتبون بالعامية دون وجل تكريساً للدولة القطرية. كما يتجدد بدرجة أقل انتشار (الفرانكوأرب) في البلدان التي خضعت للاستعمار الفرنسي سابقاً.

توافق باحثون كثر على أنه ما من مجتمع استطاع إنجاز تنمية وتقدم حقيقي خارج ثقافته ولغته، مهما أوحت قشور إنجازات مظهرية أو مستوردة بخلاف هذا، فدور الثقافة واللغة جوهري في تشكيل تفكير الأفراد والجماعات والأمم، وبالتالي في تشكيل الشخصية الفردية والجمعية. وعندما يسرد الباحث نيكولاس أوستلر تاريخ العالم وإمبراطورياته في كتابه: (إمبراطوريات الكلمة: تاريخ اللغة في العالم)، ليس من خلال مساحة الوطن أو اقتصاد الدولة أو تعداد الشعب، بل من خلال ازدهار وانحسار اللغة، من عصر إلى آخر، فإنما يؤكد محورية اللغة في التشكيلات البشرية وعلاقاتها على امتداد التاريخ. ولئن اعتبر غادامير أن اللغة هي أحد الألغاز العظيمة في التاريخ واعتبر أرسطو أن اللغة هي التي تمنح الإنسان إنسانيته، وأنها إحدى أشد وسائل التعبير تعقيداً، فإن بول ريكور قد أكد أن فهم الإنسان لنفسه وللعالم يرتكز على اللغة، مثلما اعتبرها دلتاي القناة التي تمكن الإنسان من إنجاز الفهم.

إطلالة على الأمثال الأندلسيّة

• وسام قباني

تشكّل الأمثالُ مرآةً صافيةً تعكس واقع المجتمع، وتميط اللّثام عن أعرافه وقوانينه، وتنير لنا ما خفي من طبائع سكّانه. والمجتمع الأندلسيّ مجتمعٌ له خصوصيّته، إذ نشأ أفراده في بيئة جديدة، ووجدوا أنفسهم يصوغون تقاليد وشعائر خاصّة تتوافقُ مع طبيعة حياتهم التي جمعت بين إجلال الموطن الأمّ (المشرق)، والتّأثّر بالجوار (بلاد العجم). فكيف نطقَ الأندلسيّون أمثالهم، وهل ظلّت أمثالهم تدور في فلك مهدهم المشرقيّ الذي انطلقوا منه أو أنّهم عبّروا عن واقعهم المعيش بأمثال جديدة تولّدت من وحي حياتهم الآنيّة.؟؟

لا ريب في أنّ المطّلع على الأمثال الأندلسيّة يلحظ أنّ الأندلسيين قد سلكوا ثلاثة دروب في تشكيل أمثالهم وفق الآتي:

أمثال تحاكي أمثال المشرق لفظاً ومعنىً.

أمثال تحاكي التّراث المشرقيّ في حلّة أندلسيّة جديدة.

أمثال أندلسيّة مبتكرة من وحي الواقع المعيش.

ويمكن في ما يلي استعراض بعض الأمثلة حول كل محور من هذه المحاور الثلاثة:

أوّلاً - أمثال تحاكي أمثال المشرق لفظاً ومعنىً:

لا شكّ في أنّ الأندلسيين تأثّروا بثقافتهم المشرقيّة، وتمثّلوها في كلامهم. ولذا فقد نهلوا من معين الأمثال المشرقيّة قديمها وحديثها. ويمكن فيما يلي استعراض بعض الأمثال المتداولة في الصّقع الأندلسيّ آنذاك، وهي مستوحاة لفظاً ومضموناً من الأمثال المشرقيّة:

× أصفى من عين الدّيك:

مثلٌ شهير وردَ بتمامه في كتب التّراث العربيّ، وذكره الميدانيّ في مؤلّفه الشّهير مجمع الأمثال.

× في كلّ قدر له مغرفة:

وهو من الأمثال المشرقيّة المولّدة الدّالة على الفضوليّ المتدخّل في كلّ شيء. وورد المثل بتمامه عند الثعالبيّ في التمثيل والمحاضرة.

× لكلّ جديد لذّة، ولكلّ قديم حُرمة.

وهما مثلان منفصلان ورد كلٌّ منهما على حدة عند الميدانيّ. وقد جمعهما الأندلسيّون في صياغة واحدة.

× يسرق الكحل من العين:

وهو مثلٌ شهير تردّد في كتب التراث العربي. وقد ذكره الثعالبيّ في التّمثيل والمحاضرة في معرض الإشارة إلى مهارة اللصوص بصيغة: « فلانٌ يسرق الكحل من العين.»

ثانياً - أمثال تحاكي التّراث المشرقيّ في حلّة أندلسيّة جديدة.

تلقّف الأندلسيّون الكثير من أمثال المشرق وأقوالهم البليغة، وصاغوها بحلّة أندلسيّة جديدة توافق هواهم، وتلائم ظروف حياتهم. ومن هذه الأمثال:

× إذا رأيتَ اليهوديّ يذمّ السّلعَ ادر أنّه يشتريه:

وهي صيغةٌ أندلسيّة للمثل المشرقيّ المولّد « إذا عابَ البزّازُ ثوباً فاعلمْ أنّه من حاجته «

× الرّكوب عزّ ولو كان على معز:

يقترب هذا المثل الأندلسيّ من المثل المشرقيّ الشّهير: « يا حبّذا الإمارة ولو على الحجارة.»

× صاحب صنعتك عدوّك ولو كان أخوك:

صيغةٌ أندلسيّة تحاكي المثل العربيّ القديم: « القاصّ لا يحبّ القاصّ.»

× ضربة الصّدر محبّة ولو كانت بمزربّة:

إنّها صيغةٌ أندلسيّة تحاكي المثل العربيّ الشّهير: « ضرب الحبيب كأكل الزّبيب.»

× كلّ بلد وهلال وكلّ زمان ورجال:

صيغةٌ أندلسيّة تؤكّد معنى المثل المشرقيّ الشّهير: « لكلّ زمان دولة ورجال «

× من مدح العروس. ؟ قال: أمّها:

صيغةٌ أندلسيّة تحاكي المثل العربيّ القديم: « من يمدح العروس إلا أهلها.»

× يدخل بين الأعمى وعصاه:

صيغةٌ أندلسيّة مطوّرة عن المثل العربيّ القديم: " لا تدخل بين العصا ولحائها " والمثل المشرقيّ يرد في معرض النّصيحة بالابتعاد عن الحشريّة. أمّا المثل الأندلسيّ فيدلّ على الحذق والمهارة في التّعاملات الاجتماعيّة.

ثالثاً - أمثال أندلسيّة مبتكرة من وحي الواقع المعيش:

أبدع الأندلسيّون في ابتكار أمثال تعبّر عن خصوصيّة حياتهم. وترصد طرائق عيشهم، وأنماط تفكيرهم. ومنها ما يلي:

× ادخل الجنّة قال اصبرْ نشبّك إبرتي:

ويبدو أنّه مثلٌ يُقال في المرء السّفيه يُعرَض عليه خيرٌ كثير فيؤجّله لسبب تافه لا قيمة له.

× امدح البلدان واسكنْ جيّان:

وهو مثل يُقال في مدح مدينة (جيّان) التي توافرت فيها مقوّمات العيش الرّغيد، والطّبيعة السّاحرة الفتّانة.

× إذا رأيت هلاوي ادر أنّه سلاوي:

أي إذا رأيتَ شخصاً أحمق فاعلم أنّه من مدينة (سلا).

× إذا رأيت أصفر سوق، وإذا رأيت أحمر ذوق:

وهو من أمثالهم في أحوال البيع والشّراء، وفيه إشارة إلى أنّ الصُّفرة أمارةٌ على نضج شطرٍ وافر من الفواكه، أمّا الحُمرة فتتطلّب الفحص والاختبار.

× الجمال الفاخر : صَغرُ العينين وكِبَرُ المناخر:

ويبدو أنّهم قالوه على سبيل التّهكّم والسّخرية من القبيح المتفاخر بحاله.

× شبعت الفارَ من النُّخال ووجدتْ للدّقيقْ مرارَ:

مثلٌ ضَربه الأندلسيّون في من يذمّ الشّيء بعد زهده فيه.

× عرايس زهرا واحدة تنسيك أخرى:

وهو مثلٌ يمدح أزاهير مدينة الزّهراء التي تسلب الألباب بسحر مرآها، وعبق أريجها.

× في عافية كان الزّجّاج قبل أن يشتري القطّ.

وهو مثلٌ يُضرب في من يجلب الشّرّ لنفسه.

× ليس يمدح العرس إلا من يشبع فيه:

وهو مثلٌ يشي بأنّ الأندلسيين اهتمّوا بتقديم أطايب الطّعام في حفلات الأعراس. وهذا أمرٌ يتوافق مع ما عُرف عن الأندلسيين من الاهتمام بآداب الضّيافة.

× ما تُقال الفوائد إلا على الموائد:

مثلٌ يشي بطريقة تفكير الأندلسيين ونمط حياتهم الاجتماعيّة.

× من جعلَ النّاس كلّهم سوا ليس لحمقه دوا:

× من فكّر في شرا بصلة ليس يحفظ مسألة:

ويعني المثل أنّ الذي يصرف تفكيره إلى شؤون الدّنيا يصعب عليه إتقان العلوم، واكتساب المعارف. فالعلم لا يعطيكَ بعضه حتّى تعطيه كلّك.

× النّحس النّحيس الجُبّة تحت القميص:

وهو مثلٌ يوثّق تشاؤم الأندلسيين من ارتداء الجبّة تحت القميص لاعتقادهم أنّها تجلب النّحس.

× نعمان لسْ له في القلب مكان:

وهو مثلٌ قالوه في من لا يُرغبُ بوجوده.

× الهديّة مقبولة ولو كانت فولة:

وهو مثلٌ يومئ إلى حرص الأندلسيين على التّهادي في شتّى المناسبات، وقبولهم أصناف الهدايا مهما صغُر شأنها. ويتوافق هذا المثل مع ما شاع عنهم من البساطة في التّعامل، والأريحيّة في العلاقات الاجتماعيّة. فكثيراً ما كانت هداياهم تقتصر على أمور رمزيّة مثل الورود والرّياحين وأطباق الفاكهة.

× ولا يوم الطّين:

مثلٌ أندلسيّ شهير ما يزال أهل المغرب يتمثّلون به بلفظ: (ولا يوم الطّين)، المثل قاله المعتمد بن عبّاد لزوجته اعتماد الرّميكيّة، ووثّقه المقّري في نفحه مورداً قصّته كاملة. وقصّة المثل تبدأ لمّا رأتْ اعتماد ذات يوم بإشبيلية « نساء البادية يبعن اللبن في القُرب، وهنّ رافعات عن سوقهنّ في الطّين، فقالت له: يا سيّدي أشتهي أن أفعل أنا وجواري مثل هؤلاء النّساء، فأمر المعتمد بالعنبر، والمسك، والكافور، وماء الورد. وصيّر الجميع طيناً في القصر، وجعل لها قرباً وحبالاً من إبرسيم، وخرجتْ هي وجواريها تخوض في ذلك الطّين. فيقال إنّه لمّا خُلِعَ، وكانت تتكلّم معه مرّة، فجرى بينهما ما يجري بين الزّوجين، فقالت له: والله ما رأيتُ منكَ خيراً. فقال لها: ولا يوم الطّين.؟! تذكيراً لها بهذا الذي أباد فيه من الأموال ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فاستحيت وسكتت.

وقد أشار المعتمد إلى هذه القصّة في شعره حين كان سجيناً بأغمات. يقول متحسّراً على حال أهله وقد قلب لهم الزّمان ظهر المجنّ:

يطأنَ في الطّين والأقدامُ حافيةٌ
كأنّها لم تطأ مسكاً وكافورا

× يعمل عجب من قط بذنب:

مثلٌ شائع معناه يعمل العجايب من أشياء عادية لا تثير التّعجّب.

× يفرح ويغنّي موشّح:

وهو مثلٌ يدلّ على شيوع الموشّحات بين النّاس وتغنّيهم بها.

المصادر:

- أمثال العوام في الأندلس، أبو يحيى الزّجاليّ القرطبي ت ٦٩٤ هـ، تحقيق: د. محمّد بن شريفة، الجزء ١ - ٢ ، مطبعة محمّد الخامس، فاس، ١٩٧٥م.
- التّمثيل والمحاضرة، الثّعالبيّ ت ٤٢٩ هـ، تحقيق: عبد الفتّاح محمّد الحلو، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، الطبعة الثانية، ١٩٨١م.
- مجمع الأمثال، الميدانيّ ت ٥١٨ هـ، الجزء: ١- ٢، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، مطبعة السّنة المحمّديّة، مصر، ١٩٥٥م.
- نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب، المقّريّ ت ١٠٤١ هـ، الجزء: الأوّل، تحقيق: د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م.

أدب الأندلس، أم آدابها؟

• عبد النبي اصطيف

عندما يتحدث دارسو الأدب العربي ومؤرخوه عن عصوره المختلفة وأقاليمه المتنوعة شرقاً وغرباً، يخصون فسحة الأندلس فيه بعناية لافتة للنظر، فتراهم يُفردون لأدبها فصلاً خاصاً به، أو مجلداً أومجلدات تنصرف إليه. صحيح أنهم يناقشون هذا الأدب بوصفه جزءاً لا يتجزأ من الأدب العربي القديم أو الكلاسيّ، ولكنهم يرونه أدباً تميز عن نظيره الشرقي بميزات عديدة:

منها إسهامه بإبداع جنسين شعريين بالعربية الفصيحة (الموشحات) والعامية (الزجل)؛

ومنها أنه من أدب التخوم، تخوم الأدب العربي الأوربية-الغربية في تلك العصور التي كانت فيها معظم آداب أوربة الغربية في طور النشأة.

وربما كان هذا سر الاهتمام الذي يكاد لا ينقطع به، من جانب باحثي الشرق والغرب، الشمال والجنوب، العرب والمستعربين، الذين يُعنون جميعاً بتفاعل هذا الأدب مع الآداب المعاصرة له في شبه الجزيرة الأيبيرية وما حولها. ولذلك تراهم يشيرون إلى تأثير طبيعة الإقليم الأندلسي في هذا الأدب من جهة، وإلى تاثير هذا الأدب في آداب التخوم تلك، ولاسيما أدب الجنوب الفرنسي (الأدب البروفنسالي) والأدب الإيطالي النهضوي من جهة أخرى.

غير أن السؤال الذي يتبادر إلى ذهن المرء، إذ يحاول تصور الموازيين الإنساني واللغوي والثقافي والأدبي في تلك الرقعة الأوربية من الدولة العربية الإسلامية التي ساد فيها العرب والمسلمون نحواً من ثمانية قرون، وخلفوا وراءهم تراثاً فريداً تغلغل، بل انسرب، في مختلف وجوه الحياة في إسبانية لقرون عديدة تلت، هل ثمة أدب أندلسي، عربي اللسان، يصدر عن تجربة فريدة في العيش المشترك بين أمم وشعوب وقبائل مختلفة اللغات والأديان والأعراق، تجربة ماتزال موضع تأمل وتفكير في خصوصيتها من جهة، وفي وثاقة صلتها بعالمنا المعاصر من جهة أخرى- هذا العالم الذي لم يستطع أن يتجاوز الاختلافات ما بين شعوبه وأممه، بالتعارف، وليس بالهيمنة والسيطرة، ولم يجد طريقاً للعيش المشترك يوفر فيه موارد الإنسانية التي ماتزال تئن تحت وطأة الفقر والمرض والجهل في قسم كبير من عالم الجنوب؟

أم أن هناك أدباً أندلسياً لا يقتصر في أداته على اللغة العربية، ولا يصدر في تجربته عن رؤية العرب والمسلمين في شبه الجزيرة الأيبيرية، ولا يعكس رؤية للعالم تتماهى مع الرؤية العربية-الإسلامية؟

وبعبارة أخرى إن ثمة آداباً عديدة مؤهلة لحمل صفة "الأندلسي"، والأدب العربي في الأندلس ليس إلا واحداً منها. فهناك الأدب الإسباني الذي اتخذ من اللغة اللاتينية حيناً، ومن اللغة الرومنثية حيناً آخر أداة له، وهناك الأدب العبري الذي اتخذ من اللغة العربية أداة له، ولكنه لجأ إلى الخط العبري يدوّن به تجاربه ورؤيته للعالم، وثمة بعد ذلك أدب أُنتج للنخبة في هذه الآداب الثلاثة، وآخر للعامة. وفي حين استعانت النخبة بالمستوى الأعلى من أدوات هذه الأداب أولغاتها، واستعملت المستوى الفصيح، إن جازت التسمية، من هذه اللغات، لجأت العامة إلى المستوى المتحرر من قيود اللغة الفصحى، والذي يعكس طبيعة الحياة اليومية التي تتزاوج فيها الأعراق والأمم والشعوب واللغات والأديان، لتنبثق منها طفرة فريدة من التنوع الإنساني الخلاق الذي شغل الناس شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، ماضياً وحاضراً، ومستقبلاً قد يتمكن من فك أسرار الانسجام الذي ساده، ورحابة الصدر وقبول الآخر بعُجره وبُجره، اللذين تخللاه.

وثمة كذلك سؤال آخر، ربما كان أكثر أهمية هو: ماالدور الذي ينبغي أن يُناط أداؤه بدارسي هذا الأدب من الباحثين العرب، الذين نذروا أنفسهم لخدمة الأدب العربي الأندلسي، والذين ربما كانوا أولى من غيرهم بالعناية به: جمعاً وتحقيقاً ودراسة؟

إن أوّل ماينبغي للباحثين العرب فعلُه هو السعي إلى توسيع منظورهم في تدبُّر أدب الأندلس أو آدابها، فلا يقصروا اهتمامهم على الأدب المنتج باللغة العربية (الفصيحة والعامية)، بل يشملوا باهتمامهم وعنايتهم الآداب الأخرى المنتَجة باللغات الأخرى والتي تقدمت الإشارة إليها.

وتوسيع منظورها هذا يتطلب دون شك توسعاً في التأهيل اللغوي، والمعرفي، والمنهجي لهؤلاء الباحثين. فأما التأهيل اللغوي فينبغي أن يشمل العربية الأندلسية (الفصيحة والعامية)، والعربية الأندلسية، واللاتينية الفصيحة وعامياتها المختلفة في الأندلس وماجاورها. وإذا كان المتخصصون بدراسة العربية وآدابها يدرسون في المرحلة الجامعية الأولى لغة قديمة من لغات الشرق القديم، فلتكن هذه اللغة العربية الأندلسية، وليشفعوا بها دراسة اللغة اللاتينية، تاركين معرفة عامياتها إلى مرحلة الدراسات العليا، ولتكن اللغة الإسبانية شرطاً لازباً لدراسة الأدب الأندلسي، حتى يتمكن الطالب/الباحث من الاطلاع على المكتبة الإسبانية الخاصة بأدب الأندلس وهي مكتبة عامرة بحق.

وأما التأهيل المعرفي فينبغي لدارسي أدب الأندلس أن يتوسعوا بدائرة الاهتمام لتشمل الجغرافية والتاريخ الأيبريين ودراسة المجتمعات الأندلسية، والثقافة والفنون الجميلة فيها، مما يغني فهمهم لنصوص أدب الأندلس بوضعها في السياق الذي حكم إنتاجها، وحدَّد من ثَمَّ رؤية العالم التي تسودها.

وأما التأهيل المنهجي فإنه يتصل بالمقاربة الأمثل لدراسة هذا الأدب وهي مقاربة مزدوجة تجمع تحت عباءتها المقاربة المتداخلة المعارفapproach interdisciplinary، والمقاربة المقارنة comparative approach ، وتكفل من ثَمَّ وضع نصوص هذا الأدب في سياقها الداخلي (الذي يشمل الدور الذي أدته مختلف العوامل الداخلية في تشكيلها) وفي سياقها الخارجي الذي يشمل صلاتها بالآداب المعاصرة لها، مثلما يشمل تفاعلها مع هذه الآداب.

ومعنى هذا أن التوسع في المنظور والتأهيل يتطلب توجُّها نحو عمل الفريق، ذلك أن ظروف الباحث العربي قد لا تتيح له من التسهيلات والإمكانات والوسائل مايساعده على تحقيق النجاح المطلوب في عمله، ومن ثَمَّ فإن مواجهة هذه المشكلة يمكن أن تتم من خلال تشكيل فرق بحث ينصرف كل عضو فيها إلى مهمة محددة أو جانب من جوانب البحث العلمي المتصل بهذا الأدب، ويعمل على نحو تكاملي مع باقي أعضاء الفريق في سبيل إنتاج مستوى أسمى من المعرفة الإنسانية الخاصة بالأدب أو الآداب الأندلسية.

وبهذا وحده يستطيع الباحثون العرب أن يجلسوا في المقاعد الأولى من ركب دراسة الأدب الأندلسي، والتي أخلوها منذ زمن ليس بالقصير للباحثين الغربيين الذي تبوءوا منزلة سامية في هذا الحقل المعرفي الشائك، الذي فتن العالم، ولايزال، بفرادته، وروعة ماينطوي عليه من إبداع إنساني كان وراءه التنوع الخلاق الذي ميز فسحة الأندلس العربية الإسلامية، التي لم تعرف أي تمييز لغوي، أو عرقي أو ديني، ولم تقرّ بفضل سوى فضل "الإبداع"، وعندها يمكن أن يكونوا مؤهلين ليتسنموا موقع القيادة في دراسة هذا الأدب العالمي الخالد.

اللغة بأهلها والعربية بنت الدهور

• رياض طبره

لي أن أزعم أن ما لاقته العربية من إقرار باعتمادها لغة دولية، أو ما خُصّت به من يوم عالمي للاحتفال بها سنوياً في الثامن عشر منْ كانون الأول من كل عام، لم يكن جوداً وسخاءً دولياً وكرمى لعين لغة الضاد! بل كان ذلك نتيجة مباشرة لظهور العرب وتأثيرهم المعنوي والاقتصادي والثقافي بعد حرب تشرين المجيدة، كقوة أخذ العالم يصغي لمفرداتها وحق أبناء هذه اللغة في أن يكونوا أمة تقدمهم بصورة حضارية على صورتها ومثالها، وأزعم أن من نتائج تلك الحرب المجيدة أن تقدمت الوفود العربية إلى الأمم المتحدة لاعتماد لغتنا الجميلة واحدة من اللغات المعتمدة في لغات الأمم الست المعروفة وكان لهم ذلك، فقد تقدموا مُوحَّدين على قلب واحد ومصلحة واحدة ورؤية مُوحَّدة لما يجبّ أن تأخذه هذه اللغة من مكانة بين لغات الأرض وهي التي امتازت على كل اللغات بصفة قدسية يُقرّها أكثر من مليار انسان يدينون بالإسلام على أقل تقدير.

وفي هذا اليوم الذي يسلط الضوء فيه على حياة اللغة وإمكانية استمرارها، أداة حضارية عصرية بين جميع الناطقين بها، لا بد من البحث عن دور أهل اللغة مع الراغبين في أن تحمل القدرة على نقل معارفهم وثقافتهم إلى جهات الأرض كلها، وإلى نوافذ المعرفة كافة، قبل أن تتعرض ككل كائن حي إلى الوهن والضعف، ومن ثم الزوال حال لغات عديدة، شهدت هي الأخرى مساراً مماثلاً، فإما فقدت حياتها كاملة أو غدت محصورة في أضيق نطاق ممكن.

ولا نأتي بجديد إن ذكرنا أن ما تعرضت له العربية من دورة الحياة أكبر بكثير مما تعرضت له جميع لغات الأرض من محاولات طمس وتهميش وعزل عن التداول، بهدف أن يتم حصرها في المقدس الذي لعب دوراً مهماً جداً في حفظها واستمرار تجدّدها لغة تستحق الحياة والتواصل والانبعاث الدائم.

ويكفي أنها وأهلها أزيحت عن لغة الحاكم والحكم منذ سقوط بغداد ٦٥٦ للهجرة، في أخطر اجتياح همجي استهدف الأمة واللغة والبشر والحجر، كما هو حال كل هجوم تتري بربري مغولي تركي فرنسي أميركي انكليزي من بعد، وظلت كذلك قروناً عديدة، لولا أن أهلها ظلوا أوفياء للغتهم، حيث انصرفوا للتأليف والترجمة ونظم الشعر وإحداث مذاهب وفنون أدبية جديدة محافظين ومبرهنين على امتلاك هذه اللغة امكانية استيعاب الآداب والعلوم والفنون والفكر المنقول والمتداول.

ففي عصور الدول المتتابعة، وهي التسمية الأكثر دقة في وصف المراحل التاريخية بعد العصر العباسي إلى العصر الحديث، بدلاً من التسمية التي ظلت شائعة طويلاً أي عصر الانحطاط، تمكن العرب من إنجاز أكبر وأكثر المؤلفات في مختلف المجالات وبما لا يسمح باعتبار تلك المرحلة مرحلة انحطاط، إنها مرحلة وفاء الأديب والمفكر العربي للغته ولأمته ولشعبه، فعندما يقدم العرب على التأليف انما يقدمون على الابداع، وإن لم يمتلكوا القرار السيادي الذي يؤهلهم لفرض ثقافتهم أو تعميمها كما كان الحال عندما لم تتوقف دولتهم عند حد أو رسمت حدوداً لها.

ومن هنا تكون اللغة بأهلها فإمّا أن يمدوها على الدوام بأسباب الحياة والبقاء والتواصل مع العصر ومستلزماته ومتطلباته وإما أن يكونوا، في الصف الآخر العامل على إقصائها ودثرها أو وضعها على رفوف المكتبات كاللغة اللاتينية على سبيل المثال، أو اللغات الأكثر قدماً والتي يجهد البحّاثة في فك طلاسمها بعد اندثارها.

وأستطيع أن أزعم أن العربية بنت الدهور، أي أنها لغة غير قابلة للموت، وهي في هذا الجانب، تخالف وتوافق نواميس الموت والحياة، تخالفها في أنها ليست قابلة للموت التام بمعنى الاندثار والزوال ودخول المتاحف واللغات غير القابلة للتداول، وهنا يلعب المقدس دوراً كبيراً وفاعلاً ومؤثراً، كما كان شأنه في كل العصور والدهور التي شهدت جوراً وظلماً غير مسبوقين على الأمة وعلى اللغة، وصمودها في مواجهة عمليات التتريك والفرنسة، سواء في مشرق الوطن العربي سورية ومن حولها، أو في مغربه الجزائر وبلدان المغرب العربي.

وهي متوافقة مع نواميس الموت والحياة بحيث أنها تتخلى كما الجسد عن خلاياها غير الفاعلة أو الميت من هذه الخلايا بمعنى أنها تسقط في كل جيل كماً هائلاً من المفردات لم تعد الحاجة قائمة لاستمرارها في دورة الحياة، وللتدليل على ذلك كان المرحوم الشاعر حسن البحيري يحفظ ستين ألف أصل لغوي ولكن السؤال كم كان وكنا معه نستخدم من هذه الآلاف المؤلفة من المفردات.

وكذلك يتصل الأمر بقدرة اللغة على إعطاء بعض المفردات معاني جديدة تتفق مع استخدام جديد لها غير ما كان عليه في ولادته غير المعروفة أو المجهولة كالثقافة والصناعة والعقل والإدارة ومعظم المفردات التي يتم تداولها اليوم بيسر وسهولة متطابقة في الذهن بين معناها ومبناها.

ويسهم في مقدرة اللغة على الحياة في كل عصر إخلاص أبنائها لدور لغتهم الحضاري، وترجمة ذلك على أرض الواقع، وفي المكان الصحيح، وهنا لنا أن نفخر بما أقدم عليه الرواد الكبار الأوائل في مجال التعليم حيث أصروا على أمرين: الأول أنهم اعتمدوها لغة أساسية في الجامعة أي لغة للطب والحقوق في العقد الثاني من القرن الماضي وعدم تدريس العلوم بغيرها والشعار الذي اعتمد كسياسة منهجية في كل المراحل أي تعريب التعليم.

والأمر الآخر هو في تخليص اللغة من الأساليب المنفرة، وهنا نسجل تكامل جميع الجهود وارتقائها لتبسيط اللغة وإبعادها عن المفردات المقعرة، والحواشي منها وما الى ذلك من أساليب كتابية موروثة كالسجع والمحسنات اللفظية التي فقدت مبررات وجودها واستمرار الاعتماد عليها للتفاخر في هذا المجال.

وتستحق جامعة دمشق ومؤسسها المرحوم رضا سعيد كل تقدير على الدور الذي لعبته في تعريب العلوم والمصطلحات الطبية الطبية والقانونية والعسكرية منه قبل غيرها، وما قام به مجمع اللغة العربية وجميع أعضائه من إحداث نقلة نوعية في تعريب ما يستجد من ألفاظ أجنبيةً فرضتها طبيعة الحياة التي اتسمت وتتسم بالاختراع والابداع وحق المخترع والمبدع في تسمية ابداعه أو اختراعه الاسم الذي يرغب بلغته لا بلغتنا وهذا أقل الإيمان.

إن اللغة كائن حي لكنه لا يستمد حياته من ذاته، إنما حياته وتقدمه وحضاريته من تقدم وحياة أهله جميعاً واللغة وحدة والوحدة لغة!

ابن الرومي شاعر يرسم بالكلمات

• جاك صبري شماس

شاعر اختلطت أوراق نسبه لتضفي على هذا التلاقح سمة تنم عن العبقرية والألق، وحدة اللسان وسرعة البديهة وقوة الحضور الشعري، وقد طافت شهرته الآفاق وأصبح على كل لسان، ويشهد له النقاد بذلك على اتساع دائرة خياله، وخصب قريحته، وتوقد ذكائه ورهافة حسه، ونمو طبعه، جيدة لسانه فيما عرف به وهو الهجاء .

إذا ما مدحت المرء يوماً ولم يثب
مديحي وحق الشعر في الحكم واجب
كفاني هجائيه قيامي بمدحه
خطيباً وقول الناس لي أنت كاذب

وابن الرومي مدح ووصف وشبه وافتخر، واشتهر بالرثاء وامتاز على شعراء عصره بأشياء كثيرة لم يلتفتوا إليها، وطرق أبواباً جديدة لم يسبقه أحد إليها وتفوق على الجميع بالتهكم والسخرية، ورسم الصورة الكاريكاتيرية .

وعلى الرغم من علو كعبه في الشعر كما يقولون – إلا أن أبا الفرج الأصفهاني – صاحب الأغاني – حرمه من دخول موسوعته، ولم يذكر مؤرخو الأدب سبباً لذلك، بيد أن الدكتور طه حسين قال فيه: إن شخصية ابن الرومي من أحسن الشخصيات الإنسانية التي يجب أن تدرس .. في الأدب والفلسفة وعلم النفس .

لقد نهل ابن الرومي من ينابيع القرآن الكريم، وتعلم في الكتاتيب وكان يحضر حلقات العلماء في المساجد، ويروى أنه كتب أبياتاً في غلام عباسي اسمه جعفر، وكان ذلك البداية التي مكنته من السمعة، وعن هجاء ابن الرومي قال ابن رشيق وقد غلب عليه الهجاء حتى شهر به وحتى صار يقال أهجى من ابن الرومي، وليس الهجاء بأجود من مدحه، وكان ابن الرومي كثير التطير أي التشاؤم، فربما تمر فترة دون أن يقول بيتاً من الشعر، وقد تناول أبو العلاء المعري تطير ابن الرومي في رسالة الغفران، وقد أبدع الرومي في وصف رجل أحدب أحسن تصويره وكأن القارئ أمام فن الكاريكاتير وذلك بقوله:

فصرت أخادعه وطال قذاله
فكأنه متربص أن يصفعا
وكأنما صفعت قفاه مرة وأحس
ثانية لها فتجمعا

وربما كانت المحن والمصائب والأرزاء هي التي جعلت ابن الرومي يتطير إذ توفي والده وهو صغير، وشهد في حياته وفاة أولاده الثلاثة وزوجته، وقد فاضت عواطفه، في رثاء أولاده، وخاصة ابنه الأوسط قال في ذلك:

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي
فجودوا فقد أودى نظيركما عندي
توخى حمام الموت أوسط صبيتي
فلله كيف اختار واسطة العقد
طواه الردى عني فأضحى مزاره
بعيداً على قرب قريباً على بعد

ترك ابن الرومي كثيراً من الأبيات في نكد الزمان، وقد اشتهر بالمطولات التي بلغت مائتي بيت، وكان نفسه في ذلك عميقاً، فخلف وراءه الكثير من الأبيات التي تدل على الحكمة والموعظة وتصوير الواقع الذي عايشه، وقد أجاد في الوصف والتشبيه والتشخيص فهو يقول في وصف رجل يقلي الزلابية: والزلابية هي فطائر من العجين يضاف إليها الكثير من الحلوى، وهي رائعة تقبل عليها النفس بشهية عند الفطور صباحاً يقول:

رأيته سحراً يقلي زلابية
في رقة القشر والتجويف كالقصب
كأنما زيته المقلي حين بدا
كالكيمياء التي قالوا ولم تصب
يلقي العجين لجيناً من أنامله
فيستحيل شبابيكاً من الذهب

كما أبدع في وصف الشيب مما يدل على تجربة عاشها وألم في تفاصيلها ومتغيراتها وهو يقول:

شاب رأسي ولات حين مشيب
وعجيب الزمان غير عجيب
قد يشيب الفتى وليس عجيباً
أن يرى النور في القضيب الرطيب

ويتضح من لقب ابن الرومي بأنه لم يكن عربياً، فهو يوناني الأصل وأمه فارسية، ويقال أنها تلقت التربية في فارس وتتضارب الآراء في ذلك كما يقول النقاد، وقد قال عنه شوقي ضيف ((والحق أنه كان شاعراً بارعاً بل لا شك أنه أبرع شعراء العصر)) .

كان ابن الرومي يلم بكثير من العلوم إلى جانب الشعر كالفلسفة والعلم والأدب وكانت هذه المعارف عنده كالروافد للشعر لا نفع لها إن لم ينته بها المصب إلى النهر الكبير، ومن يتمعن في مطولاته يرى إبحاره في اللغة وإحاطته الواسعة بغريب مفرداتها وأوزان اشتقاقها وتصريفها ومواقع أمثالها وأسماء مشاهيرها، ومقتبسات من أدب القرآن فليس في شعراء العربية من تبدو هذه الشواهد في كلامه بهذه الغزارة والدقة غير شاعرين اثنين أحدهما ابن الرومي والثاني المعري .

كان ابن الرومي صغير الرأس مستدير أعلاه أبيض الوجه يخالط لونه شحوب في بعض الأحيان، ويؤخذ عنه من عابه على صغر رأسه قوله:

إذ تنقضني بصعلكة الرأس
سفاها وأذقت غير ذميم
ما تعديت إن وصفت خشاشاً
لو ذعياً كالحية المشهوم
وقديماً ما جرب الناس قبلي
ثقل الهام في الخفاف الحلوم
واعتبر أن فشل الطير في الطير
وفينا كروسات البوم

وهو يشير إلى أن صغر الرأس ليس عيباً لأن الحية صغيرة الرأس وهي موصوفة بالحكمة واليقظة .

أما عن بياض الوجه فلا غرابة في ذلك لأن جده من الفرس وجده آخر من الروم وقد قال واصفاً ديباجة وجهه في نضرة العمر:

يا هل تعود سوالف الأزمان
أولا ؟ فمنصرف إلى السلوان
كيما أروح وللشبيبة حيرة
أرنى العيون بفاحم .. فتان
ويشرق صافي الأديم كأنما
فيه ائتلاق من صفيح .. ويمان

وكان يشكو مرض العينين قبل الشيخوخة، وما من شاعر يغفل ضعف البصر وما يكابده من وراء ذلك إذ لا تبدو الأمور كما هي طبيعية عند النظر السليم، ولا شك أن ابن الرومي خير من يصف هذا الداء:

ولو قعدت بلا عذر لهد لي
جميل رأيك عذري أي تمهيد
قاسيت بعدك لا قاسيت مثلها
نهار شكوي يباري ليل تسهيد
أمسى وأصبح في ظلماء من بصري
فما نهاري من ليلي بمحدود
كأنني من كلا يومي وليلته
في سرمد من ظلام الليل ممدود

والشاعر يصور نفسه وما ينتابه من خوف وقبح وشيب وصلع وإن كان ذلك نادراً إلا من خلال شاعر كبير يقر بما يحيط به وما يكتنفه من شقاء وغم في قوله:

من كان يبتلي الشباب من جزع
فلست أبكي عليه من جزع
فإن وجهي بقبح صورته
ما زال لي كالمشيب والصلع

على أن ضعف البنية لم يكن ليضير ابن الرومي كثيراً في شبابه أو شيخوخته لو أنه اعتدل عيشه وقوي على ضبط نفسه، فإن ضعاف البنية قد يعمرون .

وقد كان ابن الرومي هزيلاً قليل الاحتراس فجنى على بدنه فوق ما جناه عليه هزاله ولج به الحس المتوفر فتهافت على لذات الحياة وأطايبها تهافت من لا يحب أن تفوته متعة أو تفلت من يديه تهزه .

ولكنه مع استعداده للهواجس بشبابه ومشيبه قد تمادى به الوسواس في أعوامه الأخيرة حتى أصبح آفة متأصلة غلبت على أقواله وأفعاله جميعاً، فأفرط في الطيرة واشتد خوفه من الماء لا يركبه ولو دعاه إلى ركوبه من يمنونه الإرفاد وحسن الضيافة، وصور لنا ما يعتريه من خوف الماء تصويراً لا يدل إلا على حالة مرضية ولو كان التشبيه فيه من مجاز الشعر وتهويل الخيال:

ولو ناب عقلي لم أدع ذكر بعضه
ولكنه من هوله غير ثائب
أظل إذا هزته ريح ولألأت
له الشمس أمواجاً طوال الغوارب
كأني أرى فيهن فرسان بهمة
يليحون نحوي بالسيوف القواضب

إن الشاعر ابن الرومي يتفوق على نفسه وربما أجاد فن الكاريكاتير في تصويره الرائع وهو يصف رجلاً نهماً يأتي على كل شيء أمامه، وهنا يحلق الشاعر في تصوير الجزئيات، حتى لكأن القارئ أمام لوحة فنية رائعة:

بعض أضراسه يقاوم بعضها
فهي مسنونة بغير سنون
لا دؤب إلا دؤب رحاها
أو دؤب الرحى التي للمنون
لا تعطل رحاك يا ابن سليمان
فليس الثواب فيها بدون
قسماً لو وقفتها للمسا
كمين لما مسهم غلاء الطحين
ما ظننت الإنسان يجتر حتى
كنت ذاك الإنسان عين اليقين

وكأن ابن الرومي يعترف بحقده لأنه كان يتفلسف ويدرس الجدل ويتعاطى صناعة البرهان، ويحب أن يمتحن قوته في المنطق والفلسفة بتقبيح الحسن وتحسين القبيح حسبما يبدو له من وجهيه، ومن تنازع الأقوال فيه، وتلك سنة كانت معروفة في ذلك العصر يقيسون فيها البلاغة، ويقيسون فيها قوة البرهان، فمدح ابن الرومي الحقد وذمه ولم يقصر بحجة الذم عن حجة المديح وهو القائل في ذم الحقد والرد على ما وحيه:

يا مادح الحقد محتالاً له شبها
لقد سلكت إليها مسلكاً وعثا
لن يقلب العيب زيناً من يزينه
حتى يرد كبيراً كاسياً حدثا
قد أبرم الله أسباب الأمور معاً
فلن ترى سبباً منهن منتكثا
الحقد داء دوي لا دواء له
يري الصدور إذا ما جمره حرثا
والعفو أقرب للتقوى وإن جرم
من مجرم جرح الألباب أو فرثا

عاش ابن الرومي في عصره قليل الحيلة فهو أعزل غريب الأطوار مستهدف فهو مستهدف لكل من يريعه، دقيق الحس فهو معذب بما يصيبه، وثقلت عليه صدمات الخيبة وساء ظنه بإنصاف الناس فعرفن ما فيه من بقية عزم الشباب، وعاف السعي وانطوى على اليأس ووجدت نفسه لذلك وجداً تعرفه من صرخته:

لا عذر لي في أسفي بعدها
على العطايا عفتها عفتها

فكان هذا مع ضعفه واعتلاله وحذره المغروس في تركيبه وحاجته إلى يعينه صارفاً له عن السعي في طلب الرفق، وإن كان ابن الرومي من أب يوناني وأم فارسية، فأحسب أنه عربي، لأنه ولد في تربة عربية عاشها وعايشها وعاصر كل ما فيها ونهل من أمهات الكتب العربية، وتتلمذ على يدي الكتاتيب وألم بكل ما حوله ولا شك أنه علم من أعلام الأدب التصويري .

أصالة اللغة العربية والتجديد اللغوي المعاصر

• عوض الأحمد

لغات الشعوب هي مرآة حياتها، وترجمان مشاعرها وخصائصها وإبداعها والشعب العربي الذي أنشأ الأدب العربي، في شمالي الجزيرة العربية، في القرن السادس الميلادي، وقد اختلط اختلاطاً شديداً بشعوب أخرى ولا سيما في العصر العباسي وبعدها ونبغ منها رجال متفرقوا الأجناس، متعددو الأديان أتقنوا العربية وكتبوا بها أدباً لحق بالتراث الأدبي العربي. وسمي عربياً لأن لغته هي العربية.

وللبشر لغات كثيرة نشأت في تاريخهم الطويل، وتعدّدت بتعدد أجناسهم وقومياتهم. وتطورّت بتطور مدنياتهم ونمو عقولهم واتساع حاجاتهم. كما أن من هذه اللغات ما انحط أو مات بانحطاط هذه المدنيات أو موتها. فاللغة العربية من أسرة اللغات السامية، لأن العرب شعب سامي. ولها شقيقات هي الفينيقية والآرامية والسريانية والعبرانية..

واللغة العربية الشمالية تختلف عن اللغة العربية الجنوبية. وقد انقرضت اللغات العربية الجنوبية كلها، وآخرها لغة حُمير، ولم تكن اللغة العربية موحدّة في أول الأمر، بل مفرّقة في لهجات على ألسنة القبائل، كل قبيلة لها لهجتها التي تمتاز بها من غيرها بأسلوب في النطق، فتوحدت هذه اللهجات كلها بظهور الإسلام ونزول القرآن، وتسمى العربية الشمالية اللغة العدنانية، وغلبت عليها لغة قبيلة قريش خاصة. اللغة التي نزل بها القرآن والتي أصبحت هي اللغة العربية (الفصحى).

وإذا كانت اللهجات قد باعدت بين الأقطار، فإن الذي ما زال يجمع بينها هو الحفاظ على الفصحى، وبذلك تبقى الفصحى عاملاً قوياً في شد الأواصر وتقويتها بين أبناء الأمة، كما تزيد في القوة العددية للمنطوين تحت لوائها، من عرب أصلاء أو مسلمين مستعربين، واللغات القديمة العريقة كاللاتينية مثلاً فقد عجزت أن تصنع في الغرب ما فعلت العربية في الشرق.

وتظهر قوة اللغة العربية في تذليل الصعاب، وتتسع لكل جديد من العلم والفلسفة والحكمة في الأدب، وتفرض نفسها على الشعوب، فإذا هي اللغة التي يكتبون بها، وظلت بلاد فارس تكتب بالحروف العربية إلى اليوم، ودخلت الألفاظ العربية في صلب كل لغه وطئت أرضها أو جاورتها مجاورة الود أو القهر.

ومن مظاهر تأثير اللغة العربية في غيرها اقتباس فرنسا وإيطاليا أكثر الاصطلاحات البحرية من العرب الذين كانوا سادة البحر في القرن الثامن للميلاد، واستعارتها ألقاب القادة للجيوش وتعابير القتال، وأسماء آلاته كالحراقات والقذائف.

وسر اللغة العربية في غلبه العربية على بقية اللغات واحتلالها المكان الأرفع، يعود إلى قدرتها على أن تتسع لكل لون من ألوان المعرفة، ولكل نزعة من نزعات الفكر، وهي تعتمد على رسوخ في الأصول، وحيوية في التفرع، وغنى في الثمار، مع التزام لمنطق صحيح وقياس منسجم، وجرس عذب، وتشعب سبل الإفصاح، فكثرت فيها الأخيلة والألوان، وضمت الحكمة إلى العلم، والأدب إلى المعرفة، واستطاعت أن تعبر عن كل شيء، وأن تستجيب لكل فكرة، وأن تصور كل عاطفة.

وقد كتب الدكتور عثمان أمين في كتابه (فلسفه اللغة العربية) ما يؤكد فيه أن العربية تؤمن بالمعنى، وتختار له اللفظ المناسب، وتؤثر الجُوانيَة على البَرانيه، ألسنا نراهم يعبرون عنه بألفاظ القلب، واللب، والحجا، والنّهى، أكثر مما يعبرون عنه بألفاظ المخ، والدماغ، والرأس. ويفرقون بين القرابة والقربى، وإحداهما لحمة الدم والأخرى رابطه الروح.

ومن المترادفات ألفاظ تبدو فيها خاصة لغوية رائعة هي إظهار ألوان المعاني وظلالها، وهذه ميزة تكاد تنفرد بها اللغة العربية وتعد من خصائصها التي تتجلى في ألفاظ مترادفة أحياناً يسميها الدكتور عثمان آمين (خاصة التلوين الداخلي).

ويذكر المستشرق الفرنسي كارادوفو: أن الفروق المعنوية الدقيقة التي تحملها ألفاظ اللغة العربية ليس من الميسور نقلها في لفظ واحد إلى اللغات الأخرى.

وخلص من هذه الملاحظة إلى التنويه بما تنطوي عليه العربية من قدرة ذاتية على التحليل الفلسفي العميق (ما دام أن إحداث تغيير طفيف في بنية اللفظ العربي يسمح لتلك اللغة بأن تميز بين الحالة النفسية والعادة البدنية التي تطابقها).

والدكتور عبد الغفار حامد هلال يرى في اللغة العربية بأنها لغة تصويريه للمجتمع واللغة العربية في مقدمة اللغات جميعاً تعبيراً ودلالة وتصويراً للمجتمع الذي لهج - ويلهج - بها، ففي ألفاظها ما يدل على أصل أصحابها وتاريخهم وعقليتهم، فالكتابة والشكل والرسم

والبلاغة والفصاحة والدلالة نفسها كلمات مستعارة من حياة العرب الأولى، فالكتابة والشكل بمعنى القيد والرسم: أثر خطو الإبل على الرمل في رسيمها أو سيرها على العموم، والبلاغة: من الوصول إلى غاية المسير.

ولفظ الصديق، في العربية من الصدق، و(العدو) من العدوان.

ونلمس أصالة اللغة العربية في غنى العربية الطارف والتليد. فهي من أغنى اللغات في المفردات والتراكيب وتفصح عن أعمق الأفكار الحكيمة والفلسفية، وأن تضم إليها مختلف المعارف العلمية وتعتمد في كل ذلك وقبل كل شيء على مفرداتها العربية الخالصة، وتراكيبها الأصيلة، وبرزت أصالتها، ونظمها في الصوغ، والاشتقاق، والنحت والمصدر الصناعي، واشتقت صفات النارية والحجرية من النار والحجر، ثم اشتقت الأزلية من لم يزل فنسبت وقالت أزلي، وقد لاحظ علماء العربية السابقون ما بين بعض المفردات من اتصال في المعاني، وتقارب في الدلالات فجمعوا بعضها إلى بعض في رسائل صغيرة كرسائل الأصمعي في الشاء والأبل والنخل والكرم فكانت تلك الخطا محاولات أولى في وضع المعاجم الكبرى، ونجد في اللغة العربية ألفاظاً محددة المفاهيم مقصورة على حدود ضيقة تفيد التخصيص وتدل على الفروق الدقيقة بين الأشياء المتجانسة والمتقاربة.

فكلمة الولد لا تستعمل إلا للإنسان، وإن كان الأصل اللغوي يفيد معنى يشترك فيه كل ما يولد. ولكن التخصيص جعل الولد للبشر والطلا لكل وحشية تلد، والجرو لولد السبع.

وإلى جانب هذا المعنى والدقة نرى تلازماً شديداً بين بعض المسميات وبين أصولها اللغوية، فولد الناقة الذي استكمل سنة من عمره وفصل عن أمه يدعى فصيلاً، وفي ذلك دليل التلازم بين الأصل اللغوي والمسمى، ومثله السليل، والحولي مما تقدم ذكره.

ومن خصائص العربية أنها لغة أعراب، والإعراب معرفة ما يعرض للكلمات من رفع ونصب جر وجزم، بحسب العوامل الداخلة عليها في الجملة، ومعرفة ما يوافق ذلك من عوامل تلحق بالكلمة من مثل تغيير حرف فيها، أو تسكين آخرها، أو تحريكه بضمة أو فتحة أو كسرة، ولهذا الباب علمٌ مستقل يدعى النحو.

ومن خصائص العربية أنها لغة اشتقاق وتصريف على قياسات مقررة في علم يقال له الصرف. فمن مادة اللفظ الواحد تُصنع ألفاظ كثيرة، لكل لفظه منها معنى متصل بالمعنى الأصلي إلا أنه خاص. مثال ذلك مادة: كَتَب، يُصنع منها كاتب، واستكتبَ، وكتابٌ، ومكتوبٌ، ومكتب، ومكتبة، وكاتب، وكتبي، ومكاتبه... الخ.

وخصائص العربية أن مادة اللفظ الواحد منها تنقل من معنى إلى آخر مختلف كل الاختلاف بحيث تكتسب الألفاظ المشتقة من تلك المادة نفسها معاني شتى لا قرابة بينها إلا ما يمكننا تحصيله بالتأويل ويسمى هذا: المجاز. مثال ذلك فعل: شَجَرَ، ومنه يقال: أشجرت الأرض، أنبتت الشجر، ومنه يقال: تشاجر القوم، معناه: تنازعوا وهكذا.

ومن خصائص العربية مرونة الإنشاء بها. فليست جملها محصورة بقوالب ضيقة أو جامده، بل يمكن إفراغ الجملة الواحدة في قوالب عدّة، نتيجة التقديم والتأخير.

ويمكننا أن نقول مثلاً: ومن الشررة الصغيرة تندلع النار العظيمة.

ونقول: (النار العظيمة تندلع من الشرارة الصغيرة).

واستطاعت بهذا الماضي الغني الخصب وبفضل ارتباطها بالقرآن، أن تخترق عصور الانحطاط وتنهض في العصر الحديث. وتبقى على صيغتها الفصحى لغة الكتابة والخطابة في البلاد العربية، وأن تكن انبثقت منها عامية، وهذه العامية ما زالت بعيده عن أن تكون لغة بالمعنى الوافي، فلم توضع لها قواعدها الأساسية من صرف ونحو، ولا صُنّف معجمها. فهي عاميات متعددة.

ومنذ القديم عني العلماء بالتنبيه على ما تلبّس باللغة العربية من شوائب اللحن والخطأ، والتحذير من مغبة شيوع الألفاظ الدخيلة والتعابير الركيكة التي تذهب برونق الإنشاء العربي.

ولا تزال الأخطاء اللغوية إلى يومنا هذا، تفعل الأفاعيل في بنيان اللغة العربية وكيانها. ولمجامع اللغة العربية دورها المنشود في التجديد اللغوي المعاصر و(مجمع اللغة العربية) في دمشق من أقدم المحافل إذ قام بأمره نخبة من أولى الفضل من علماء بلاد الشام، وكان هدفهم بعث العربية وإشاعة صوتها وتحقيق المخطوطات، كما التفتوا إلى العلوم الحديثة فصمموا على أن تكون في العربية بين أيدي الدارسين. واهتموا بالمصطلح العلمي، فصنفوا الكتب العلمية، فكانت العربية لغة العلم في المدارس والمعاهد والجامعات ونلحظ مظاهر ضعف الطلاب في اللغة العربية في عصرنا الحاضر من خلال رصد أخطاء الطلاب وبعض الأخطاء التي يقع فيها الطلاب:

أ- الأخطاء النحوية: كترجيح الياء في إعراب جمع المذكر السالم المرفوع. والاضطراب بين الألف والياء في إعراب المثنى على خلاف مقتضى الإعراب.

ب - عدم الدقة في تطبيق أحكام الأفعال الناسخة والحروف المشبهة بالفعل (الناسخة) ولا سيما إذا تأخر المبتدأ، كقولهم: كان في الامتحان سؤالاً ليس من المقرر وعدم إعمال حروف الجر في بعض الأحيان، ونصب كل وبعض إذا جاءت بعدها.

مثل: على كلاً، وأشرت إلى بعضاً من هذه الحالات.

واستعمال لغة (أكلوني البراغيث) في الكتابة والحديث كثيراً إلى جانب الأخطاء النحوية، نجد الأخطاء اللغوية: كإدخال همزة التعدية على الأفعال الثلاثية المتعدية بنفسها، ثم بناء الصيغ من الرباعي، ومن ذلك: هذا أمر مهول مشين ملفت للنظر، والصواب: هائل شائن لافت للنظر.

ومن مظاهر ضعف الطلاب في اللغة العربية: الأخطاء الإملائية.

كعدم التفريق في الأفعال الناقصة بين ما أصل ألفه الياء وأصلها الواو، وعدم معرفة الوسائل والطرائق التي يمكن التمييز بينهما. وبسبب هذا اللبس يقع الخطأ في مثل: رمى، وغزا، ودعا، وسعى.

ومن المظاهر السلبيه في توظيف الألفاظ قيام الطلاب بحفظ معاني المفردات واستظهارها كما يحفظون معاني المفردات واستظهارها كما يحفظون مفردات اللغة الأجنبية، ولكن من غير أن تدخل قاموسهم اللغوي، ومن دون التفاعل معها، والتمثل لها، والاهتمام بها، والسيطرة عليها، وتظل بعيدة عن تفكيرهم وألسنتهم، يدل على ذلك أننا لانجد أثراً لهذه المفردات في لغة الطلاب وكتاباتهم، لأنها دخلت جافة محنطه، فتظل معزولة غريبة.

وقد حاول المصلحون لتذليل هذه الصعوبات وتقريب اللغة من أبنائها... ويرى الكاتب إبراهيم مصطفى حول ذلك: «وأنا أتصور النحو على وجهين:

الأول: أن يقربه النحويون من العقل الحديث ليفهمه ويتسيغه ويتمثله ويجري على تفكيره إذا فكرّ، وعلى لسانه إذا تكلم، وعلى قلمه إذا كتب.

والثاني: أن تشيع فيه القوة التي تحبب إلى النفوس درسه ومناقشت مسائله والجدل في أصوله وفروعه بعد أن عرضوا عنه.

ولقد عالج فريق من العلماء الغيورين على لغتهم أسباب هذا التقهقر، فتحدثوا عن خطر العامية، وعن تلوث اللسان العربي، ومظاهر الضعف لدى الطلاب بسبب اضطرابات المناهج وطرائق التعليم، وتدني المستوى العلمي للمعلمين وللكتب على السواء... كما تحدثوا عن طرائق الإصلاح، فعرضوا لدور المجامع العلمية والجامعات والمؤسسات الثقافية في نهضة اللغة من كبوتها، ومحاولات بعث روح التجديد فيها، وسبل التيسير في تعلم القواعد، والاستفادة من مرونة اللغة وقدرتها على النماء لاستيعاب النهضة الحديثة، ووضع المصطلحات الدقيقة للمستجدات في شتى ميادين المعرفة.

العربية.. وكفى؟.

• عبد المعين زيتون

تعد اللغة العربية- وفق إحصاءات هيئات أممية متخصصة- أوسع لغات المجموعة السامية من جهة عدد المتحدثين بها، وهي إحدى أهم اللغات انتشاراً بالعالم، ووفق المكاتب المعنية بالأمم المتحدة، يتحدث بها اليوم نحو أربع مئة مليون نسمة، ولا يقتصر المتحدثون بها على المنطقة العربية بل يمتد ليشمل العديد من المناطق المجاورة وغير المجاورة. أثرت العربية نتيجة حضورها في تلك البلدان والأمم- أثرت- على الكثير من اللغات الأخرى في العالم كله. وهي العربية اليوم اللغة الرسمية، ليس في دول الوطن العربي وحسب، بل في الكثير من الدول الإفريقية، وغير الإفريقية، وقد اعتمدت الأمم المتحدة العربية كإحدى لغات المنظمة الدولية الست، وهذا الاعتراف، لم يكن ليقلل من شأنها وقيمتها وأهميتها وانتشارها فوق هذه المعمورة، لا بل، ربّما لم تشأ الأمم المتحدة أن تعترف بهذه اللغة كلغة حية. وثمة العديد من الآراء في أصل اللغة العربية، عند قدامى اللغويين العرب، الذين ذهب بعضهم إلى اعتبار «يعرب» هو أول من أعرب لسانه، فنسبت العربية له، لكن الاحتمال الأقوى في هذا، هو ما ورد في الحديث الشريف الذي كشف لنا بجلاء أن نبي الله إسماعيل (ع) كان أول من فُتق لسانه بالعربية وهو ابن أربع عشرة سنة، ونسي لسان أبيه إبراهيم الخليل (ع)، ويذهب بعض هؤلاء اللغويين إلى أن العربية كان لغة آدم (ع) في الجنّة، ويؤيد هذا التوّجه الحديث النبوي الشريف الذي يقول فيه النبي محمد (ص) : «أحبّ العربية لثلاث..» ومن بين خيارات محبّته (ع) للعربية أنها لغة أهل الجنّة.

وبالاعتماد على ما سلف من قول، وإضافة المنهج العلمي وتطبيقه على ما توصلت إليه علوم اللسانيات والآثار والتاريخ، يمكننا القول إن العربية بجميع لهجاتها نشأت وانبثقت من مجموع اللهجات السامية التي هي لهجات أهل شمال الجزيرة العربية القديمة، أما لغة أهل جنوب الجزيرة العربية، وهي ما يعرف اليوم باليمن وأجزاء من عُمان فتختلف قليلاً أو كثيراً، ولا تشترك مع لغة شمال الجزيرة إلا بكونها من اللغات السامية، وقد أدرك علماء المسلمين الأوائل هذه الحقيقة، وقال في ذلك أبو عمر بن العلاء (٧٧٠م) : «ما لسان حمير بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا». لقد قام علماء الآثار بتصنيف النقوش العربية المكتشفة إلى اليوم إلى أربع مجموعات، الحسائية (نسبة إلى منطقة الإحساء)، والصفائية والديدانية والثمودية (والأخيرة ليس لها علاقة بقبيلة ثمود التي وردت قصتها في القرآن الكريم. كتبت جميعها بالخط المسند (خط لغات جنوب الجزيرة العربية)، وأبرز ما يميز اللهجات المصنفة الأربع التي أشرنا إليها، هو استخدامها «هـ» أو «هـ» كأداة للتعريف، إلّا أن أقدم النقوش بالعربية المعروفة اليوم، منها نقش «عجل بن هفعم» في قرية الفاو بالسعودية وقد كتب بالخط المسند ويعود إلى القرن الأول قبل الميلاد، ونقش عين عبدات في صحراء النقب ويعود للقرن الأول الميلادي، وكتب بالخط والحرف النبطي، لكن أشهر نقوش العربية المكتشفة هو نقش النمارة في الصحراء السورية، وهو نص مؤرخ بالعام (٣٢٨م)، ومكتوب بنوع جديد من الخط النبطي القريب ممن الخط العربي الحالي، وهو رسم لضريح ملك الحيرة امرؤ القيس بن عمرو، ووصف فيه بأنه ملك العرب.

لم يعرف بالضبط وعلى وجه الدقة متى ظهرت كلمة (العرب) أو المفردات المشتقة من أحرب العين والراء والباء كلمتي عربية، وأعراب أو غيرها من الكلمات، لكن أقدم نص أثري ورد فيه اسم العرب هو اللوح المسماري المنسوب للملك الآشوري شلمنصر الثالث في القرن التاسع قبل الميلاد، وذلك فيه انتصاره على تحالف ملوك آرام ضده بزعامة ملك دمشق.

لقد فصل اللغويون العربية إلى ثلاثة مستويات، هي المستوى التقليدي أو العربي القياسي، والمستوى الرسمي، ومستوى اللغة المنطوق أو اللغة العامية، ويوجد المستوى الأول في القرآن الكريم، أما المستوى الرسمي فهو الذي استخدم اللغة العربية في المؤسسات والآداب غير الدينية، فيما استخدم المستوى الثالث على نطاق أوسع بن الناس.

ويعتبر الكثير من اللغويين أن العربية هي اليوم أقرب اللغات السامية إلى السامية الأم بعدما احتفظت بعناصرها القديمة وفشلت أي لغة سامية أخرى في ذلك، وفيها نظام الأصوات غير الموجود في اللغات السامية، إضافة إلى وجود نظام النحو والإعراب والصيغ العديدة لجموع التكسير والظواهر اللغوية الأخرى الموجودة في السامية الأم.

واللغة العربية العدنانية «الشمالية» أقرب اللغات إلى أصل اللغة الأم.

نعم، لقد قلنا إن القرآن الكريم وحّد اللغة العربية وحفظها بشكل نهائي لا يقبل اللبس أو الضياع، ومن قبله كان الأدب الجاهلي والشعر على وجه الخصوص أبرز اتفاق العرب على وحدة لغتهم، لذا وجدنا أن شعراء العرب على مختلف قبائلهم اصطلحوا لهجة فصحى لشعرهم.

وقد أسهمت (مكة) والمكيّون في توحيد هذه اللهجات بين الشمال والجنوب في شبه الجزيرة العربية، فهي ملتقى عرب الجاهلية، ومحطّ أنظارهم وتجارتهم ومختلف مستويات حياتهم الأدبية واليومية والاقتصادية والاجتماعية، وكان لهيمنة قريش الأثر البالغ على وحدة اللغة ووحدة لهجتها، وغني عن القول الآن أن القرآن الكريم نزل بها ليتوّج هذا الأثر البالغ. ولعله من الطبيعي التاريخي تعدد اللهجات عند العرب أيام الجاهلية، فكل قبيلة لها لسانها، حتى إن هذا الوضع استمر إلى ما بعد الإسلام، ولعل أبرز الأسباب التي أدت إلى وجود لهجات أو لغات أو ألسنة متباينة قديمة، هو أن العرب كانوا في بدء عهدهم على أغلبهم (أميين)، ولا تربط بينهم إمارة ولا يدين ولا اقتصاد موّحد، ولا أهداف موحدة ولا أمنيات وأحلام واحدة. ومن أهم اللهجات والألفاظ التي شاعت بين القبائل العربي آنذاك: عجعجة قضاعة (قلب الياء جيماً)، ففي راعي يقولون راعج وفي كرسي يقولون كرسج وطمطانية حمير (لفظ إم بدل أل) في التعريف فيقولون في البر أمبر وفي الصيام أمصيام وفحفحة هذيل (جعل الحاء عيناً)، فيقولون أحل إليه أعل إليه وعنعنة تميم (إبدال العين بالهمز إذا جاءت أول الكلمة) فبدل عمان يقولن أمان وكشكشة أسد (جعل الكاف شيناً) فبدل عليك يقولن عليش. ولكن من الثابت أن العرب كانوا يتحدثون فيما بينهم لغتهم الموحدة، أما إذا تحدثوا فيما بينهم داخل القبيلة نفسها فيستخدم لهجته المحلية (لهجة القبيلة). وهذا ما يقودنا للحديث عن مفهوم الثنائية اللغوية. ونعني بهذا المصطلح (العامية والفصحى).

وربما اختلف الباحثون في تصنيف الحال في شأن اللغة العربية ما بين الفصحى والعامة المستخدمة في الدول العربي والمجتمعات العربية، هل هي ازدواجية أو ثنائية لغوية؟! ورأى البعض أنهما مختلفان، فيما رأى البعض الآخر أن الفارق ليس جذرياً في النهاية ولا يجب أن نصنفهما كلغتين منفصلتين، وبالتالي ثمة ازدواجية لغوية في المجتمعات العربية وليس ثنائية لغوية، وإذا كان البعض يراها حال صحية جيدة، إلّا أن الغالبية المهمة من اللغويين يروا فيها كارثة لغوية أحلّت بالعربية ولا بد أن تزول.

وما يبرر الاتجاه الأول أنّ أصحابه يعتقدون أن اللهجات المحلية العامية ستندمج في لهجة عربية واحدة، ولا نعتقد أن ثمة نصيب لهذا الرأي!

وكيف لنا أن نقترب من نهاية الكلمات عن العربية في هذا الشأن الذي تحدثت فيه، أو هذه النافذة الضيقة التي رأيتها منها، وهي أوسع النهايات إذا ما بدأت، وأكبر من نطلّ عليها من هناك أو هناك، دون أن نقف، ونقف ولا نملّ الوقوف!.

كيف لنا أن نشرف على النهاية دون أن نمرّ على الخط العربي؟..

ويحتاج الخط، شأنه شأن الحديث عن أي جانب، يرتبط العربية- يحتاج- إلى فصل مطوّل ولا يمكننا الإحاطة بالخط العربي ببساطة، ليس لأنه جانب مهم من جوانب اللغة فحسب، بل بصفته فناً وإبداعاً خالصاً، أخذ الكثير الكثير من مجهودات المختصين والخطاطين العرب وغير العرب الذين استخدموا الحرف العربي في أبجدياتهم، أو أخذتهم العربية.

وغني عن القول إن للخط العربي مسابقات دولية، حدث وأن فاز فيها بالمراتب الأولى مبدعون وخطاطون من دول إسلامية متعددة. ولقد تطور نظام الكتابة العربية منذ القرن التاسع عشر إلى القرن الحادي عشر، وأعتقد أن نظام الكتابة العربية، قد لا يتوقف عن التطور على الإطلاق، ما دام ضرباً من الفن والإبداع!. وقد كتبت اللغات العربية القديمة بالخطين المسند والثمودي، قبل أن يدخل عليها الخط النبطي المنسوب إلى «ثابت بن إسماعيل (ع) « فأخذ الخط النبطي مكان الخط الثمودي في شمال الجزيرة العربية، حتى أصبح الخط المعتمد في لغة مضر العربية الحديث (نسبة إلى قبيلة مضر). أما لغة حمير (جنوب الجزيرة العربية) فحافظت على الخط المسند، بينما أخذ الخط النبطي (وهو أبو الخطوط العربية) يتطور، وكان أقدمه قد تم اكتشافه في نقش (النمارة) في سورية ويرجع إلى العام (٣٢٨م)، وفي الفترة التي سبقت الدعوة الإسلامية، ظهرت خطوط حديثة للغة مضر والخط الحيري (نسبة إلى الحيرة) والخط الأنباري (نسبة إلى الأنبار)، وعندما جاءت الدعوة الإسلامية، كان الخط الذي استخدمته قريش هو الخط النبطي المطوّر، وهو الخط الذي استخدمه كتبة النبي محمد (ص) في كتابة رسائله إلى الملوك والحكام آنذاك. وما من شك أن تلك الخطابات والرسائل كُتبت بخط يختلف عن الخط العربي الحديث الذي جاء تطورا لذلك الخط. ويعدّ الباحثون واللغويون أن الخط الذي كتبت فيه رسائل النبي محمد (ص) هو الخط النبطي المطوّر، وتعود أقدم المكتشفات المكتوبة بهذا الخط هي تلك التي ظهرت على نقش (زبد عام ٥٦٨م) ونقش (أم الجمال ٥١٣م)، ومن المؤكد حتى اليوم أن النقوش السبئية هي أقدم النقوش التي ظهر عليها الخط العربي والتي يعود بعضها إلى العام (١٠٠٠ ق.م). كان الحجازيون أول من حرر العربية من الخط النبطي الذي بدأ بسلسلة من التطورات المتقاربة حتى الدولة الأموية حيث وضع أبو الأسود الدؤلي النقط على الحروف، ثم أصدر الخليفة عبد الملك بن مروان كل من عاصم الليثي ويحيى بن يعمر بتشكيل الحروف، فبدؤوا بإنشاء نقطة فوق الحرب للدلالة على فتحه، ونقطة تحته للدلالة على كسره ونقطة عن شماله للدلالة على كسره، إلى أن تطوّر الوضع إلى وضع ألف صغيرة مائلة فوق الحرب للدلالة على فتحه، وياء صغيرة تحت الحرف للدلالة على كسره، وواواً صغيرة فوقه للدلالة على الضم، قبل أن يتطور ذلك الوضع إلى الشكل الحالي في الفتح والضم والكسر.

ويقول النقشبندي «الخط العربي هو ما يسمى الآن بالكوفي، ومنه تطورت باقي الخطوط». وجاء فيما بعد من أوضح أن الخط العربي الذي يتسم بزوايا حادة والذي عرف لاحقاً بالكوفي ترجع أصوله إلى ما قبل ظهور الكوفة بنحو قرن من التاريخ، إذ إن العربية قبل الإسلام كتبت بأربعة خطوط أو أقلام، الحيري الذي جاء منه الخط الكوفي، والأنباري، والمكي والمدني، وقد قام المسلمون الأوائل بتدوين القرآن الكريم بالخط المكي الذي انتشر قبل غيره.

ومن أبرز الخطوط العربية اليوم، خط النسخ الذي يتميز بضخامة الحجم ووضوح المعالم ودقة النهايات، وهو الخط الذي استخدمه النساخون في نسخ الكتب، والخط الأندلسي الذي تطور في بلاد الأندلس، وظهرت عليه مؤثرات الحرف اللاتيني، وغيره كثير، كالخط الفارسي والمغربي وخط الثلث، ومن الخطوط العربية ما يُعرف بالخطوط التفننية، ومنها خط الطغراء والمثنى، والمعمى.. الخ.

وبعد، فإننا عندما ندخل في بحر العربية أو نطلّ على سواحله، لا نشعر بالمتعة والجمال وحسب، بل بالعشق والخلود، وإن كنت لم أتحدث هنا عن جماليات العربية وروحانياتها، إلا أن ذلك لن يمنعني من القول إنني لو لم أكن عربياً لتعلمت العربية وعلمّتها!.

مختـــارات من "الأســـــبوع الأدبي" قبل "1000" عدد

العدد ١٤٢١ – الخميس ٢١ تموز ١٩٩٤ – ١٣ محرم ١٤١٥هـ

اللغة العربية وتأثيرها في اللغات العالمية

(رسالة الجزائر)

•رشيد فيلالي

كانت اللغة العربية أيام الجاهلية لغة بداوة والصحراء.. لا تعبر إلا عن تجارب إنسانية محدودة وبسرعة قياسية مذهلة انتقلت من هذه الوضعية البسيطة تلك النقلة الجبارة الكاسحة فاحتوت معجزة السماء المتمثلة بالقرآن الكريم، واستطاعت في مدة زمنية قصيرة أن تطمس من الوجود عدة لغات كان لها حضور بارز وقوي في تلك الحقبة من الزمن، مثل اللغة اليونانية والكلدانية والقبطية، وتمكنت اللغة العربية بعد ذلك أن تلعب دوراً ذهبياً مشرقاً في نقل كل معارف وعلوم وفلسفة اليونان والفرس والهند، فاستوعبتها وهضمتها وأضافت لها لتحولها من ثمة إلى الغرب الأوروبي فيعب علماؤه وفلاسفته من معينها مدة قرون عديدة وتتأثر بذلك لغاته ولغات عدة بلدان عالمية أخرى إذ نستطيع أن نميز الآن بوضوح ودقة آلاف الكلمات العربية المثبوتة في اللغات الأوروبية والعالمية وجلها كلمات مدنية حضارية لها وزنها وقيمتها في الحياة اليومية والعلمية لأصحاب تلك اللغات العديدة ـ والمختلفة يقول الدكتور «إبراهيم بيومي» رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة:

إن اللغة العربية كانت محصورة في الجزيرة قبل الإسلام ثم أخذت تنتشر بعده ودخلت في صراعات مع ثقافات ولغات أخرى كالفارسية والهندية والقبطية والبربرية وخرجت من هذا الصراع ظافرة أخذت من هذه الثقافات ما أخذت وتأثرت بها دون نزاع ولكنها سادت عليها نعم سادت عليها لا لأنها تمكنت من أن تجرف في طريقها تلك اللغات وتؤثر فيها فقط بل استطاعت إضافة لذلك أن تحتفظ بهيكلها وكيانها سليماً مأموناً رغم تأثرها بالبسيط مقارنة بما خلفته في تلك اللغات العظمى في ذلك الزمان.

يقول «وليم ورل» المستشرق الأميركي ومدير مدرسة المباحث الشرقية الأميركية في القدس: أن اللغة العربية لم تتقهقر فيما مضى أمام أية لغة أخرى من اللغات التي احتكت بها وينتظر أن تحافظ على كيانها في المستقبل كما حافظت عليه في الماضي وللغة العربية لين ومرونة يمكنانها من التكيف وفقاً لمقتضيات هذا العصر أن اللغة التركية من خلالب (٢٥٠) سنة لم تستطع القضاء على اللغة العربية أو إضعافها!

وإذا كانت اللغات تقترض من بعضها البعض لتحيا وتتطور وتساير ركب الحياة لغتنا العربية لم تشذ عن هذه القاعدة إذا اقترضت العديد من الكلمات ومن عدة لغات عالمية

بيد أن استعارته للكلمات الأجنبية يكاد لا يذكر قياساً بالعدد الهائل الذي استعادته اللغات العالمية من الكلمات العربية فعدد الكلمات العربية الموجودة في القاموس الجركسي (لغة صغيرة يتكلمها سكان شمال غربي القفقاس) وهو ليس بالقاموس المحيط بل مفردات اللغة بلغ نحواً من سبعين كلمة والطبيعة التركيبية لتلك اللغة تضاعفها في الاستخدام أضعافاً.

وقد ألف الدكتور "محمد عبد الجباربج" كتاباً عن الكلمات العربية المستعارة في اللغة الماليزية الذي هو عبارة عن دراسة مقارنة حاول خلالها المؤلف أن يثير القارئ بخصوص تأثير اللغة العربية على العديد من لغات العالم. وقد أثبت الباحث أن اللغة الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والإسبانية إلخ.. قد استعارت الكثير من المفردات العربية.

وفي لغة الهوسا وهي أوسع لغة في إفريقيا انتشاراً بعد اللغة العربية إذ يبلغ عدد المتكلمين بها ٤٥ مليون إفريقي أكثر من ١٢٠٠ كلمة عربية!

أما اللغة المالطية فقد أحصى بعض الباحثين عدد الكلمات العربية الموجودة في هذه اللغة فوجدوا أنها تقارب عشرة آلاف كلمة حوالي سبعة أعشار المعجم المالطي الحديث هذا رغم أن العرب لم يكونوا أول ولا آخر الذين فتحوا هذه البلاد (أول من غزاها الفينقيون وآخر من غزاها الصقليون) فقد غزتها عدة أمم أخرى مثل البرومان والإيطاليين والفرنسيين والإنجليز إلخ..

وقد أصبحت اللغة المالطية خليطاً من لغات هذه الأمم إلا أن تأثير العربية في هذه اللغة كان أوسع وأعمق وأشمل.

أما اللغات المعروفة الآن بالعظمى فقد تأثرت هي الأخرى بالعربية إلى درجة كبيرة مذهلة. فعدد الكلمات العربية الموجودة في اللغة الإنجليزية يزيد عن الألف كلمة.

أما اللغة الإسبانية فتأثرها بالعربية كان شديداً وعميقاً بحيث أن علماء هذه اللغة يذكرون أنها تحوي خمسة آلاف كلمة عربية (أي ثلث المعجم الإسباني) ولا تقل عن الألف في اللغة الدراجة بين الناس!

أما اللغة البرتغالية فعدد الكلمات العربية فيها ثلاثة آلاف كلمة ويقول الصحفي اللبناني عبد الله حشيمة نقلاً عن علماء اللغة البرتغالية أن عدد الكلمات العربية في هذه اللغة لا يقل عن السبعة آلاف كلمة!

أما اللغة الفرنسية فلا يقل عدد الكلمات العربية في قاموس فرنسي عربي (المنهل) ذو القطع المتوسط والحجم العادي وهو من تأليف الدكتورين سهيل إدريس وجبور عبد النور عن ٢٣١ كلمة.

يقول العالم الفرنسي "سيديو"؛ أن اللهجات السائدة لولايتي أوكرن ولينوزان الفرنسيتين محشوة بالكلمات العربية وأن أسماء الإعلام فيهما ذات مسحة عربية.

وتضم اللغة الإيطالية هي الأخرى بضعة آلاف كلمة عربية ولا تزال العائلات الصقلية تحمل حتى الآن أسماء عربية مثل: علي، ومصطفى، وسعيدة، ومظفر MODAFFRI ومرابط MRABITTO وفائز LOFASI والطيبي TAIBI وغيرها.

ويذكر كثير من الباحثين أن اللغة العربية استطاعت أن تؤثر حتى على اللغة الجرمانية الأصل كالهولندية والاسكندنافية وفي لغات شمال أوروبا كالروسية والبولندية وفي جهات البلطيق ووجدوا هذه اللغات العربية إلى كل هذه اللغات الأوروبية عن طريق إسبانيا وصقلية. وامتد تأثيرها حتى على اللغة اللاتينية نفسها في القرون الوسطى ويؤكد أحد الباحثين الأوربيين (من جامعة هارفارد الأمريكية وهو ليووينز) في كتابه "إفريقيا وكشف أميركا" إلى أن العرب هم أول من اكتشف أميركا ويستند في نظريته هذه إلى حقيقة لغوية هامة اكتشفها أثناء بحثه في لغات هنود أميركا (الاميرند).. وجد هذا الباحث كلمات عربية يرجع أقدمها إلى سنة ١٢٩٠ للميلاد أي قبل اكتشاف كولومبس لأميركا بما يزيد عن قرنين من الزمن!!

وهناك في الولايات المتحدة مدن بأكملها تحمل أسماء عربية بصرف النظر عن العديد من الأماكن والمناطق التي تحمل ـ هي الأخرى ـ أسماء عربية خالصة.

ومن أمثلة ذلك مدينة كاليفورنيا التي تعني (خليفة) CALIPH وكذلك مدينة KADER.EL التي تعني (عبد القادر الجزائري) وهو اسم مدينة بولاية (ايوا) وALGIERS وأصلها العربي (الجزائر) وهو اسم مكان في ولاية لويزيانا ومكة MAKAA وهو اسم مدينة صحراوية تابعة لكاليفونيا ALADDIN وأصلها العربي (علاء الدين) وهو اسم يطلق على مكان في ولاية (ويومنج).. إلخ.

وتعتبر اللغة العربية بالنسبة للغات الإسلامية بمثابة العمود الفقري مثل اللغة التركية والفارسية والبشتو والأردو والهوسا، و... إلخ. فاللغة التركية قبل سنة ١٩٢٣ (السنة التي ألغى فيها مصطفى كمال أتاتورك الخلافة) كانت تحتوي على ١٣ث٦٥٠ كلمة عربية وقد أجريت لها عملية تصفية أدخلت بدلاً منها كلمات تركية. ورغم ذلك ما تزال التركية تضم عدداً هائلاً من الكلمات العربية.

أما اللغة الفارسية فنسبة كبيرة من المعجم الفارسي أصله عربي. وإذا انتقلنا إلى اللغات الإفريقية وجدنا أن ٥٠٪ من اللغة السواحلية (وتعتبر هذه اللغة ثالث أوسع لغة في إفريقيا بعد العربية والهوسا) كلمات عربية. أما أصلاً أو اشتقاقاً. ويصح القول نفسه عن السواحلية في أوغندا فهي أساساً مزيجاً من لهجات البانتو مع اللغة العربية وهي تكتب بالحروف العربية.

ومن اللغات الإفريقية التي تحتوي على نسبة عالية من الكلمات العربية في لغاتها اللغة التجرينية في أرتيريا ولغة جزر القمر وهي تكتب بالحروف العربية أيضاً وتوجد فيها ٦٠٪ من الألفاظ ذات الأصل العربي.

أما مفاجأة العصر اللغوية ـ إن صح القول ـ فتتمثل فيما أسفرت عنه بعض البحوث الحديثة في علم اللغات المقارن من حقائق مدهشة وجدٌ هامة، فقد نشرت صحيفة الأهرام القاهرية أن الباحثة المصرية (تحية عبد العزيز إسماعيل) قد صدر لها مؤخراً دراسة باللغة الإنجليزية تحمل عنوان "العربية الفصحى أم اللغات" وقد أثارت هذه الدراسات موجة عارمة من الجدل والنقاش في أوروبا وأميركا، واستغرقت الباحثة في إعدادها عشر سنوات من الجهد الدؤوب المتواصل وأسفرت عن حقائق مذهلة قلبت كل المفاهيم، ومن بين هذه الحقائق أن اللغات الساكسونية واللغات اللاتينية عبارة عن شطر فقط من اللغة العربية إذ ٨٠٪ من أفعال السكسونية من أصل عربي و٧٥٪ من أفعال اللغة اللاتينية من أصل عربي، وبالتالي فإن الكلمات المشتقة منها في مجال المقارنة مع اللغة اللاتينية تبين أن كلماتها تتشابه وتتطابق مع الأصل العربي.

هذه ـ في الختام ـ لغتنا العربية الكريمة، الخميلة التي تزدهر دوماً حباً وعطاء وبركة.. وفي كل خطوة من مسيرتها التاريخية العطرة لها حكايات للنصر وملاحم من الأمجاد الخالدات.

وصدق الشاعر "أحمد شوقي" حين قال في مدحها:

إن الذي ملأ اللغات محاسنا

جعل الجمال وسرّه في الضاد

العربية لغة الزمن الممتد /تتمة/ ص٢

اللاتيني.. لأن اللغة العربية أكدت للدنيا أنها خبز العرب وشرابهم المفضل حين كان كثير منهم يتضورون جوعاً ويموتون عطشاً وهم يظنون أنهم يرتوون من ثقافة الغرب ولغاته...

كان الحفاظ على اللغة العربية عند كثير من العرب على الرغم من التجزئة جزءاً لا يتجزأ من الواجب الديني أو الانتماء الوطني أو كليهما معاً... رفعوا لواءها وترنموا بمحاسنها؛ وانتشوا بإنجازاتها العلمية والطبية وقدرتها على مواكبة كل العلوم المستجدة والأزمان المتطورة مهما كانت حالة الزمان كالحة... فجابر بن حيان كتب بها لغة الكيمياء؛ والحسن بن الهيثم لغة البصريات، وابن سينا لغة الطب، وابن رشد لغة الفلسفة؛ و... بها ترجم ابن المقفع (كليلة ودمنة) ويونس بن متى كتب (أرسطو وأفلاطون) و... ما يعني أن على أهلها في العصر الحديث أن يعودوا إلى بناء جسور الصداقة معها ويتخلوا عن أوهامهم التي ذهبت كل مذهب؛ فقالوا: إنها صعبة أو عاجزة عن أداء دورها الحضاري في عصر تفجر المعرفة والتقنيات... لقد نسوا أنها تثرى بثراء ثقافة أهلها وتقوى بروح التعاون والتكامل وقوة الصداقة المبتكرة للأنساق اللغوية المقاربة للأنساق المعرفية والفلسفية والعلمية والاجتماعية و...

ولذلك لابد لنا ونحن نحتفل باليوم العالمي للغة العربية في الثامن عشر من كانون الأول من كل عام أن نعيد إلى لغتنا العربية البهاء والضياء، والرونق والصفاء... وأن نتعلم منها الدرس التاريخي الذي بات الجميع يعرفه وهو يتجلى بأنها لغة مخلصة لذاتها وأبنائها، لا تتنكر لهم ولا تحقد على من أراد بها الشر والإقصاء أو التهميش... كانت تصبر على الآلام وتنهض من تحت الركام لتقول للناس جميعاً: أنا لغة الزمن الممتد؛ لا يستطيع أحد- مهما امتلك من قوة وظلم- أن يتغلب عليَّ وإن تغلّب على بعض أبنائي!...

خطة العمل الوطنية السورية للتمكين للغة العربية /تتمة/ ص٢

وذاتيتنا الثقافية وأمنا الثقافي ووجودنا الحضاري، وإلى خطر ما تتعرض له من تحديات تستهدف تهميشها، وإبعادها عن استئناف دورها الحضاري. ولقد نص الدستور السوري بعد أن نالت سورية استقلالها عام 1946 على أن اللغة الرسمية للبلاد إنما هي العربية، وجسدت سورية هذا النص واقعاً حياً في جميع مجالات الحياة انطلاقاً من إيمانها بأن ارتباط المرء بلغته لا يمكن أن يعد له ارتباطه بأي لغة أخرى، ذلك لأن اللغة العربية هي اللغة القومية، وهي التي وحدت بين العرب في مواضي الحقب بطريق القرآن الكريم الذي نزل به الروح الأمين على قلب الرسول العربي الكريم آية لنبوته وتأييداً لدعوته ودستوراً لأمته، وما تزال هي الرابطة الموحدة والموحدة، وهي إمارة على شخصية الأمة، ويعد الانقطاع عنها انقطاعاً عن الجذور التاريخية وهروباً من الهوية الوطنية، لأن التنكر للغة الأم يؤدي إلى اجتثاث الشخصية من مسارها التاريخي ومن ثقافة المجتمع، فتغدو دون هوية، ذلك أن لغة شعب ما هي إلا روحه، كما أن روح الشعب هي لغته، وما كانت اللغة لأي مجتمع إلا وطنه الروحي.

ب - الحرص على سيرورة اللغة العربية وانتشارها: وانطلاقاً من أهمية اللغة في حياة الأمة حرصت سورية على سيرورة اللغة العربية وانتشارها في جميع مناحي الحياة، فكان تعليم مواد المعرفة كافة بالعربية في جميع مراحل التعليم، وكانت سورية من قبل في عهد الانتداب الفرنسي متمسكة باستعمال اللغة في التعليم الجامعي عندما افتتحت الجامعة السورية، ولقد أثنى السيد "بونور" مدير المعارف العام في المفوضة العليا إبان الانتداب الفرنسي على إصرار أساتذة الجامعة السورية على التدريس باللغة العربية قائلاً "إن من يدافع عن لغته يدافع عن أصله وعن حقه وكيانه ولحمه، ولقد تفهم الأساتذة السوريون هذا الأمر جيداً". وعمل أعضاء الهيئة التدريسية على تأليف الكتب العلمية أو تعريبها حتى شمل الكتاب العربية مختلف المقررات الجامعية، وتكاملت الدراسات العلمية والدراسات الإنسانية والأدبية باللغة العربية منذ ذلك التاريخ وإلى يومنا هذا، وشمل التعريب مختلف التخصصات، فليس هناك الآن علم من العلوم التي تدرس في الجامعة إلا وله كتاب عربي بحت، في خاتمته مسارد بالمصطلحات التي استخدمت فيه، وهي مسارد تؤلف في جملته مادة المعجمات العلمية. ولم تقتصر الأمر على الكتاب الجامعي، وإنما تعداه إلى المراجع العلمية الكبرى والمعجمات والموسوعات والكتب الحديثة التي تولت أمرها وزارة التعليم العالي في النطاق العلمي، ووزارة الثقافة في نطاق الدراسات الإنسانية. ومما ساعد أعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات السورية على التأليف والترجمة والتعريب وجود معجمات متخصصة وعامة كان قد وضعها بعض النابهين في فروع علمية متعددة شملت المصطلحات العلمية والطبية والكهربائية والنفطية والحراجية والفلسفية والجغرافية والنفسية.. إلخ. وتجدر الإشارة إلى أن المجتمع العلمي العربي "مجمع اللغة العربية بدمشق اليوم" كان له دور كبير في إغناء مسيرة التعريب ومدها بما تحتاج إليه من مصطلحات في مختلف التخصصات، كما كان له دور كبير في تعريب الدواوين والمعاملات والمراسلات التي كانت تسود فيها اللغة التركية من قبل. وكان حسن اختيار المعيدين في التعليم الجامعي أمراً على درجة كبيرة من الأهمية، إذ يخضع المعيد إلى مقابلات واختبارات للوقوف على مدى تمكنه من لغته العربية، ولم يكن المدرس الجدد ليخضعوا إلى التثبيت في وظائفهم إلا بعد نجاحهم في امتحان شفاهي وكتابي في اللغة العربية، وكان شرط سلامة اللغة ينص عليه في تقويم الإنتاج العلمي للترقية في سلم الهيئة التدريسية، كما أن على المعيد العائد من الإيفاد أن يترجم رسالته حتى يتم تأصيله. وإذا كانت الإجراءات السابقة تتعلق بلغة أعضاء الهيئة التدريسية فإن ثمة مرسوماً جمهورياً صدر عام 1983 ينص على تدريس اللغة العربية في المرحلة الجامعية الأولى فثي جميع سنوات الدراسة في الكليات والمعاهد العليا في الجمهورية العربية السورية، ويدرّس هذا المقرر على مدار العام في النظامين الدارسين الفصلي والسنوي، وألفت الكتب الخاصة بتعليم اللغة العربية لغير المختصين. وفي مرحلة التعليم ما قبل الجامعي يعد النجاح في اللغة العربية شرطاً لنيل الشهادة الثانوية حتى لو كان الطالب ناجحاً في جميع المواد فإنه يعد راسباً إن لم يحز درجة النجاح في اللغة العربية. ولم يقتصر الأمر على العناية باللغة العربية في العملية التعليمية التعلمية، وإنما صدرت القوانين للحفاظ على اللغة العربية في البيئة، إذ صدر المرسوم التشريعي ذو الرقم 139 والتاريخ 6/11/1952 يعزز استعمال اللغة العربية في البيئة وذلك بمنع إطلاق الأسماء الأجنبية على المحلات العامة والخاصة، وصدر بلاغ من رئاسة مجلس الوزراء للحد من طغيان الأسماء الأجنبية عام 1970، كما صدر تعميم آخر من رئاسة مجلس الوزراء عام 1980 يتضمن تعريب أسماء المحلات القائمة في البلاد، وصدر قرار من السيد وزير السياحة في العام نفسه ينص على أن يختار المكاتب والمنشآت السياحية على اختلاف فئاتها في التصنيف والتأهيل أسماء عربية فقط، ويحظر عليها استخدام أسماء أجنبية، واستثنى القرار المنشآت السياحية الأجنبية ذات المستوى والتصنيف الدوليين والخاضعة لأنظمة الوزارة والمرتبطة بموجب عقود مبرمة معها.

ج - القصور في الواقع اللغوي: ومن مظاهر هذا القصور تفشي العامية على الألسنة إن في العملية التعليمية التعلمية أو في خارجها، والجنوح إلى استخدام الألفاظ الأجنبية إلى جانب استخدام العامية، وتفاقم ظاهرة إطلاق التسميات الأجنبية والعامية على المحال التجارية وفي العلامات التجارية على المنتجات الوطنية وعلى واجهات المحلات والفنادق والمقاهي والنوادي والشركات وفي الإعلانات التي توضع في الشوارع أو التي تبث عبر وسائل الإعلام وفي المطويات والنشرات واللافتات... إلخ. ومن مظاهر القصور أيضاً كثرة الأغلاط التي يرتكبها المتعلمون والمعلمون في داخل المدارس والمعاهد والجامعات، والتي يرتكبها الخريجون والعاملون في مختلف مرافق المجتمع في مناشطهم اللغوية محادثة وكتابة وقراءة. يضاف إلى ذلك القصور في التعبير الشفاهي والكتابي وفي تمثل المقروء وإدراك ما وراء السطور، وفي العزوف عن القراءة الحرة وعدم الإقبال عليها من الناشئة ومن المعلمين حتى في مجال تخصصهم، وفي ضآلة الرصيد الحفظي من الشواهد الشعرية والنثرية، وعدم تمكن بعض المتخرجين من البحث في المعاجم لنقص في كفاياتهم. ولقد اشتملت خطة العمل الوطنية السورية للتمكين للغة العربية على تبيان العوامل المؤثرة في هذا القصور إن في العملية التعليمية التعلمية أو في خارجها.

2 - من سبل المواجهة التي تضمنتها الخطة:

أ - تعزيز الانتماء: إن الحفاظ على الهوية والذاتية الثقافية للأمة واجب مقدس في عصر العولمة، ولغتنا العربية هي رمز كياننا القومي وعنوان شخصيتنا العربية وهويتنا، وإن الوعي اللغوي أمر مهم جداً في عملية الحفاظ على الهوية تخليصاً للجيل من عقدة التصاغر تجاه اللغات الأجنبية وثقافتها، إلا أن الحفاظ على الهوية لا يعني الجمود، بل هو ملية تتيح للمجتمع أن يتطور دون أن يفقد هويته الأصلية، إذ إن الانفتاح على الثقافات الأخرى وعلى إتقان اللغات الأجنبية أمر مهم جداً على أن يكون في جو من النية، وفي منأى عن الدونية والانبهار والاستلاب، وليس على حساب اللغة الأم وتهميشها. وعلى مثقفي الأمة كل في موقعه أن يقوم بدوره في بث الوعي اللغوي وتعزيز الانتماء للأمة ولغتها.

ب - الحرص على السلامة اللغوية في الكتب والمراسلات بين الوزارات والمؤسسات التابعة لها، وفي دور النشر والطباعة وسائر الجهات المعنية، وتكليف مدقق لغوي في كل منها يعمل على سلامة اللغة فيها.

ج - ضرورة إتقان الناشئة جميعاً أساسيات لغتهم، على أن يخضع الحائزون الشهادة الثانوية والملتحقون بالكليات الجامعية والمعاهد لاختبارات لغوية تقيس مدى إتقانهم تلك الأساسيات، وعلى أن يطبق ذلك على المتسابقين للتعيين في وظائف الدولة، كما يطبق على المرشحين للترقية في وظائفهم.

د - تطبيق التشريعات والقرارات الملزمة لحماية اللغة العربية من خطر استعمال اللهجات العامية واللغات الأجنبية.

هـ - النظر إلى اللغة على أنها مؤسسة اجتماعية إنسانية، وأن على أبناء المجتمع كافة واجب الاضطلاع بأدوارهم تجاه لغتهم الأم، اعتزازاً ومحافظة وارتقاءً، وفي ضوء ذلك حددت اللجنة الواجبات التي لا بد لكل جهة أن تقوم بها، إذ ما الذي ينبغي لوزارة التربية ووزارة التعليم العالي والإعلام والثقافة والأوقاف.. إلخ أن تقوم به بغية المحافظة على العربية والارتقاء بها، ولم تغفل الخطة الاتحادات والنقابات والجمعيات الأهلية من القيام بواجباتها أيضاً.

3 - من الإجراءات العاجلة التي تضمنتها الخطة:

أ - إصدار تعميم على وزارات الدولة والمؤسسات التابعة لها، وعلى المنظمات والاتحادات والنقابات والجمعيات ودور النشر والطباعة ضرورة تخصيص مدقق لغوي في كل منها يقوم بتصحيح الكتب والمراسلات الصادرة عن كل منها، حرصاً على السلامة اللغوية.

ب - إصدار تعميم لجميع الجهات المعنية في الدولة أن يكون من بين شروط النجاح في مسابقات التعيين للوظائف إتقان أساسيات اللغة، وأن يطبق هذا الشرط في الترقية أيضاً.

(★) بحث ألقي في ندوة تنسيق التجارب العربية في مجال التعريب وقضايا التنمية في عصر العولمة. المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية في القاهرة. كانون الأول "ديسمبر" ٢٠٠٩.

المؤتمر الدولي الأول
"عالم في مواجهة العنف والتطرف"

طهران ٩-١٠/١٢/٢٠١٤م

(بيان وخطة عمل)

يرحب المؤتمر بمقترح الرئيس حسن روحاني على الأمم المتحدة إعلان يوم ١٨ /١٢ من كل عام "اليوم العالمي لمناهضة العنف والتطرف"، ويطالب الأمين العام للأمم المتحدة بأن يوصي بذلك في تقريره إلى اجتماع الجمعية العامة في دورتها السبعين.

يؤكد المؤتمر أهمية إدانة التطرف والعنف والإرهاب بكل أشكاله من جميع الدول والسياسيين ورجال الدين والمفكرين.

تأكيد الحاجة إلى اتخاذ الإجراءات الكفيلة بمعالجة الفقر والبطالة والتخلف بوصفها مصادر أساسية لتغذية التطرف. كما يؤكد، في هذا السياق، على مساعدة الدول الواقعة ضحية العنف والإرهاب في مكافحة جذور العنف والإرهاب.

مطالبة الدول التي تستخدم حدودها لتسلل المجموعات المتطرفة باتخاذ الإجراءات الضرورية لضبط حدودها، ومن ذلك إصدار التشريعات والإجراءات القانونية والتنفيذية الكفيلة بالحد من ذلك.

مطالبة الأمين العام للأمم المتحدة بأن يُضمّن تقريره إلى اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها السبعين الوسائل اللازمة التي تمكن الأمم المتحدة من مساعدة الدول الأعضاء، بناء على طلبها، من مواجهة التطرف، من خلال إحداث وعي عام بمخاطر التعصب وتعزيز التفاهم واللاعنف.

نشر ثقافة السلام والتسامح من خلال:

إيجاد سياسات وإجراءات تهدف إلى خلق تفاهم أفضل لإيجاد أرضيات مشتركة من أجل تعميق ثقافة التفاهم والسلام كأساس لمواجهة التطرف من أجل جيل المستقبل.

تعزيز العلاقات بين القادة الدينيين من جميع الأديان وإجراء حوارات منتظمة بينهم.

تشجيع نشر النصوص الثقافية المبنية على أساس السلام والصداقة بين مختلف الشعوب.

تعزيز العلاقات بين المثقفين ومنظمات الفكر والفن لتعزيز السلام والصداقة بين مختلف الشعوب.

اعتبار الثقافة أحد أكثر العناصر فاعلية في الاستراتيجيات الدائمة والناجحة في مواجهة التطرف ومطالبة الدول جميعها بإيجاد خطط وسياسات ومبادرات فاعلة لتعزيز مبادئ التسامح واحترام الآخر والتنوع الثقافي.

تشجيع تضمين برامج عن التنوع الثقافي والديني والحضاري في المناهج الجامعية، وتبادل المعارف والمعلومات والأبحاث بين المؤسسات الأكاديمية والباحثين والطلاب بهدف تعميق التفاهم والتسامح بين مختلف الشعوب.

التركيز على وسائل الإعلام لدورها الفاعل كأداة لنشر أفكار التسامح والاحترام والتنوع الثقافي وحقوق الإنسان وقيمه.

التركيز على دور المؤسسات الأكاديمية والمفكرين الدينيين والمؤسسات البحثية في تعزيز الوعي العام بالقيم واحترام التنوع الثقافي لإثراء الحوار الثقافي الفكري واحترام حقوق الإنسان لمنع إيجاد أرض خصبة لنمو أفكار التطرف والتكفير والعنف.

الحاجة إلى تطوير مؤسسات بحث لدراسة نزعات العنف والتطرف والتخطيط لمواجهة تلك الظواهر الإرهابية. التأكيد على تنفيذ خطة العمل هذه.

صورة من الذاكرة

مهرجان ابي تمام 1971
خليل الخوري /رشدي العامل/ارشدتوفيق/وليد العبدلي/سالم الخباز/نزار قباني
نجمان ياسين/معد الجبوري /بلندالحيدري

تعزية

رئيس اتحاد الكتاب العرب وأعضاء المكتب التنفيذي وأسرة تحرير "الأسبوع الأدبي" يتقدمون بأحر التعازي من الزميل داود أبو شقرا بوفاة والدته.

راجين الله عز وجل أن يتغمد الفقيدة بواسع رحمته ويلهم أهلها وذويها الصبر والسلوان.

وإنا لله وإنا إليه راجعون

طه حسين والرافعي وجبران وتجديد العربيّة /تتمة/ ص٥

الشعر العربيّ في العصر الجاهليّ ازدهر لأنَّ العرب كانوا في حالة تأهب، وكان الشعر ينمو ويتمدد في أيام المخضرمين لأنَّ العرب كانوا في حالة النمو، وازدهر الأدب العربيُّ في العصرين الأموي والعباسي لأنَّ العرب كانوا في مرحلة ازدهار. وعندما رواد النعاس قوة الابتكار في الأمة العربية في العصر المملوكي وفي العصر العثماني فنامت وبنومها تحولت الأمة من أمة مبدعة إلى أمة مقلدة ،وتحول الشعراء إلى ناظمين.

ويتابع جبران فيقول عن التأثر والتأثير: «فالأمم التي تسير في مقدمة الموكب هي المبتكرة، والمبتكر مؤثر، والأمم التي تمشي في مؤخرته هي المقلِّدة، والمقلد يتأثر،فلما كان الشرقيون سابقين، والغربيون لاحقين،كان لمدنيتنا التأثير العظيم في لغاتهم.....» (٥)تتأثر اللغة العربية بغيرها من اللغات وتؤثر فيها ،تعطي اللغة العربيَّة غيرها من اللغات، وتأخذ منها. واللغة الحية هي التي تستطيع الاستفادة من غيرها. كما تستفيد الشجرة من الهواء والنور وعناصر التراب والماء وتحولها إلى أوراق وأغصان وأفنان وأزهار وأثمار، واللغة أيضاً كائن حيٌ ينمو ويتطور.

ويطالب جبران خليل جبران في مقالته أن تكون المدارس في الوطن العربيِّ ذات صبغة وطنية لا علاقة لها بالطوائف، ولا بالدول الأجنبية وعلى الدولة الوطنية أن تشرف على المدارس ويكون التعليم مجاناً وعلى نفقة الدولة.

ويرى جبران أنَّ الأوروبيين طوروا لغاتهم وآدابها وهذا ما فعله دانتي (١٢٦٥-١٣٢١م) في اللغة الإيطالية، وأضاف إنَّ بوشكين(١٧٩٩-١٨٣٧م) طوّر اللغة الروسيّة. ويحذر جبران من التقليد، فيقول: » فخير لكم وللغة العربية أنْ تبنوا كوخاً من ذاتكم الوضيعة، من أنْ تبنوا صرحاً شاهقاً من ذاتكم المقتبسة «(٦)

وأذكر قولاً لميخائيل نعيمة (١٨٨٩-١٩٨٨) عن الأدب في هذا المجال نظراً لأهميته، ولقد جاء هذا الرأي في دستور الرابطة القلمية التي تأسست في مدينة نيويورك ما بين عامي ١٩٢٠-١٩٣١ : «ليس كلُّ ما سطر بمداد على قرطاس أدباً، ولا كلُّ من حرر مقالاً، أو نظم قَصيدة موزونة بالأديب. فالأدب الذي نعتبره هو الذي يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها... والأديب الذي نكرمه هو الأديب الذي خص برقة الحسِّ، ودقة الفكر، وبعد النظر في تموجات الحياة وتقلباتها، وبمقدرة البيان عما تحدثه الحياة في نفسه من التأثير...»(٧) ويتابع ميخائيل نعيمة آراءه عن الأدب في أعماله العديدة فيرى أنَّ الأدب ليس إلا رسولاً بين نفس الكاتب ونفس القارئ، والأديب الذي يستحق أن يدعى أديباً هو من يزوّد رسوله من قلبه ولبه.

المصادر والهوامش:

١ - مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم،الجزء الثاني، بيروت،مؤسسة الرسالة،٢٠٠٠ص٤٤٣

٢ -الدكتور طه حسين،من أدبنا المعاصر،التجديد في الشعر، المؤلفات الكاملة، المجلد ١٢،الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتاب اللبنانيّ، ١٩٨٣،ص٢٥ -مجلة السياسة،٦شباط ١٩٣٤ وأُعيد نشرها في «حديث الأربعاء»

٣ - المصدر السابق،حافظ وشوقي، ص٣٧٩

٤-جبران خليل جبران، مستقبل اللغة العربيَّة، مجموعة الرابطة القلميّة لعام ١٩٢١ص٢٣١

٥- جبران خليل جبران، مستقبل اللغة العربيَّة، مجموعة الرابطة القلميّة لعام ١٩٢١ص٢٣٢-٢٣٣

٦- المصدر السابق،ص٢٤٠

٧- ميخائيل نعيمه، المؤلفات الكاملة، المجلد الأول المرحلة الثانية، بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٧٩، ص ٤٤٦

الأسبوع الأدبي

المراسلات

الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص.ب(3230) - هاتف 6117241-6117240 -فاكس 6117244- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 15ل.س - في الوطن العربي: 0,5 $ خارج الوطن العربي1$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشتركين خارج سورية

الاشتراك السنوي -داخل القطرأعضاء اتحاد الكتاب العرب 500 ل س - للأفراد1000ل.س -وزارات ومؤسسات1200ل.س - في الوطن العربي:للأفراد300 ل.س أو30 $ - للوزارات والمؤسسات 4000ل.س أو40$-خارج الوطن العربي:للأفراد 6000ل.س أو 120$ - للمؤسسات7000ل.س أو140$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب -دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجة نظر كاتبها

www.awu.sy

E-mail : aru@tarassul.sy

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:
- غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
- منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
- ألا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمائة كلمة.
- يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الالكتروني aru@tarassul.sy
- يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

فعاليات احتفاء بيوم اللغة العربية على امتداد ساحات الوطن

- أقامت لجنة التمكين للغة العربية في طرطوس احتفالية بعنوان "الحرف يداوي الجراح" بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية وذلك في المركز الثقافي العربي في طرطوس.

وأشار رئيس لجنة التمكين للغة العربية بطرطوس المهندس علي حماد إلى أن العدو يستهدف اللغة العربية بوصفها حاملاً لتاريخ العرب وحضارتهم كما أن بعض العرب يستهدفون لغتهم عندما يستبد بهم الجهل والغرور فيجد العدو ضالته فيهم مبيناً أن الحرف العربي له دور مؤثر في بلسمة الجراح وهذا ما لمسه السوريون خلال الأزمة الراهنة.

- وفي جامعة دمشق أوصى المشاركون في ندوة أقامها قسم اللغة العربية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية بضرورة الحفاظ عليها لكونها تمثل هوية الأمة وحامل فكرها وإرثها الثقافي و الحضاري. ودعوا إلى إعلاء شأن اللغة العربية وبذل كل الجهود لإعطائها المنزلة التي تليق بها في الحياة الاجتماعية والثقافية والفكرية والعلمية والتأكيد على أنها الأداة الأرقى في البحث والتأليف والإبداع نظرا لقدرتها الممتازة على التواصل والتجديد والتوليد والاشتقاق والتعبير عن العواطف والمشاعر ومستجدات العصر.

- وفي كليتي الآداب والعلوم الإنسانية بجامعتي تشرين في اللاذقية والفرات بدير الزور أقيمت ندوتان ثقافيتان احتفالاً بهذه المناسبة، ففي اللاذقية بين د. عبد الكريم يعقوب خلال الندوة التي حملت عنوان "لغتنا العربية ومواجهة التحديات" أن اللغة العربية واجهت تحديات كثيرة واستطاعت أن تتجاوزها بغنى مفرداتها وتراكيبها وقدرتها على استيعاب علوم العصر المختلفة فكانت لغة العلم والحضارة والأدب والفن لافتا إلى أنها تواجه اليوم تحديات أكثر خطورة أبرزها الغزو الثقافي ومعطيات العصر العلمية.

- وفي دير الزور أشار رئيس جامعة الفرات د. علي العلي خلال الندوة التي حملت عنوان "اللغة العربية والخط العربي" إلى مواكبة الجامعة لتطور علوم اللغة العربية وطرائق تدريسها وسماتها وخصائصها ومصطلحاتها التي دخلت العلوم واللغات المختلفة.

- وشهد المركز الثقافي العربي في مدينة الحسكة معرضاً فنياً للخط العربي للفنان حسان العزاوي وذلك بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية تضمن ١٤ لوحة تم خلالها توظيف الحرف العربي بلغة فنية جمالية معاصرة تحاكي تاريخ المنطقة منذ ولادة الأبجدية وحتى يومنا هذا.

- وفي سياق متصل قدم المؤلف والمخرج المسرحي إسماعيل خلف محاضرة حول استخدام اللغة العربية الفصحى في المسرح ودلالتها اللغوية وكيفية إيصال الرسائل المتنوعة بجزالة لما تتميز به هذه اللغة من قوة مشيراً إلى أن المسرح يحتمل إدخال العديد من اللغات وتوظيفها حسب رؤية مؤلف ومخرج العمل إلا أن تفرد اللغة العربية يعطيها مكانة مرموقة بين جميع اللغات.

جامعة الشام تحتفي باليوم العالمي للغة العربية

برعاية الأستاذة الدكتورة فيروز الموسى عضو القيادة القطرية رئيس مكتب التعليم العالي، تقيم جامعة الشام الخاصة احتفاء باليوم العالمي للغة العربية، فعاليات أدبية وثقافية تتضمن محاضرة وحوار مع الأستاذ الدكتور محمود السيد رئيس لجنة التمكين للغة العربية نائب رئيس مجمع اللغة العربية في الساعة الثانية عشرة من ظهر السبت ٢٠/١٢/٢٠١٤ افتتاح معرض الكتاب لمنشورات وزارة الثقافة واتحاد الكتاب العرب. لقاء شعري قصصي يشارك فيه: د.ناديا خوست، د. نزار بني المرجة، د. نزار بريك هنيدي، د. نذير العظمة. الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الاثنين ٢٢/١٢/٢٠١٤، وذلك على مدرج جامعة الشام في دمشق - البرامكة.

"ذاكرة اللواء"

كتاب جديد للأديبة الدكتورة ملكة أبيض

ضمن سلسلة الدراسات من إصدارات اتحاد الكتاب العرب صدر كتاب "ذاكرة اللواء" للأديبة الدكتورة ملكة أبيض، تناولت فيه تجربة الراحل الكبير شاعر الطفولة سليمان العيسى، فتطرقت إلى رؤيته القومية ومسرحه الشعري الغنائي للكبار وللأطفال، إضافة إلى فنه النثري وصورة المرأة في كتاباته وتجربته في أدب الرحلة ورؤيته للأصالة والتجديد الشعري ومساحة المقاومة والشهادة في كتاباته.

تجلى بين صفحات الكتاب الجهد الكبير الذي قامت به رفيق درب وحياة الشاعر الكبير الدكتورة ملكة أبيض في جمع وتوثيق ما كتب عن الراحل سليمان العيسى، وفي الغوص في تجربته الاستثنائية وتسليط الضوء على دررها الكامنة.

أتى الكتاب في ٢٦٨ صفحة بغلاف للفنانة ميسم حسن

الأديب
جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦
المدير المسؤول: د.حسين جمعة
رئيس اتحاد الكتاب العرب
مدير التحرير: باسم عبدو
رئيس التحرير: د.نزار بني المرجة
المدير الفني: نضال فهيم عيسى
هيئة التحرير:
علي المزعل - توفيق أحمد
عدنان كنفاني - د. ممدوح أبوالوي
مراد كاسوحة - سوزان إبراهيم

كلمات

• نزار بني المرجة

١٨ كانون الأول

اليوم العالمي للغة العربية

في عودة إلى تاريخ العلاقة بين اللغة العربية وأروقة ومنظمات الأمم المتحدة والمؤسسات التابعة لها، أنه وبعد جهود حثيثة وطويلة في خمسينيات القرن الماضي، صدر القرار رقم ٨٧٨ عن الجمعية العامة بتاريخ ٤ك١ ١٩٥٤، ليجيز الترجمة التحريرية فقط إلى اللغة العربية وبحدود /٤٠٠٠/ صفحة فقط في السنة على أن تدفع الدولة الطالبة لتلك الترجمة قيمتها!

وفي العام ١٩٦٠ قررت اليونيسكو (المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم) استخدام اللغة العربية في المؤتمرات الإقليمية الخاصة بالمنطقة العربية فقط، إلى أن جاء العام ١٩٦٦، لتوافق اليونيسكو على القيام بالترجمة الفورية إلى العربية في مؤتمراتها، وفي العام ١٩٦٨ اعتمدت العربية لغة عمل في تلك المنظمة..

واستغرقت محاولات الدول العربية فترة امتدت حتى العام ١٩٧٣، لاعتماد اللغة العربية لغة تداول شفوية في أروقة الأمم المتحدة خلال انعقاد جلسات جمعيتها العامة..، وليصدر بتاريخ ٢٨ ك ١٩٧٣ القرار رقم ٣١٩٠ عن الجمعية العامة باعتماد العربية لغة رسمية، وفي العالم ١٩٧٤ تم إدراج استخدام العربية كلغة عمل في الأمم المتحدة..

وفي تشرين الأول ٢٠١٢ وإبان انعقاد الدورة ١٩٠ للمجلس التنفيذي لليونيسكو، ثم اتخاذ قرار باعتبار يوم (١٨ كانون الأول) من كل عام، يوماً عالمياً للغة العربية، وتم الاحتفال في منظمة اليونيسكو بهذا اليوم لأول مرة في تلك السنة، وفي ٢٣ تشرين الأول ٢٠١٣م قررت الهيئة الاستشارية للمنظمة الدولية لتنمية الثقافة العربية (آرابيا) التابعة للمنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونيسكو) اعتماد اليوم العالمي للغة العربية بنداً أساسياً في برنامج عملها السنوي..

وبطبيعة الحال فإن الاعتراف الدولي المتأخر نسبياً باعتماد اللغة العربية في المحافل الدولية، لم يأت من فراغ، لأن عدد المتحدثين بها يفوق /٥٠٠/ مليون إنسان في المنطقة العربية وجوارها، فضلاً عن المسلمين المنتشرين في أنحاء العالم كونها لغة القرآن الكريم..، إضافة لكونها من أكثر اللغات استخداماً على الشابكة (الإنترنت) والأكثر سرعة في انتشارها ونموها، حيث تتفوق في هذه الناحية على اللغتين الروسية والفرنسية، وحقيقة كونها اللغة الأكثر نمواً على شبكة (تويتر)، وتعتبر اللغة الثانية بعد الإنكليزية في مؤشر استخدام (الفيسبوك) على مستوى العالم..

إن الانتشار المذهل للغة العربية على هذه المستويات الدولية والرسمية وشبكات المعلومات، يجب بالضرورة أن يكون حافزاً للناطقين بالضاد للانتباه إلى أهمية لغتنا العربية، كونها أصبحت كحقيقة واقعة في طليعة اللغات الإنسانية على هذا الكوكب، مما يرتب علينا جميعاً إيلاء هذه اللغة النبيلة ما تستحقه من عناية واهتمام في تنشئة وتربية وتعليم أجيالنا العربية القادمة..

www. marje.syriaprof.com